إرهاصات المساندة المصرية لثورة اليمن
(٢٦ سبتمبر ١٩٦٢)

أ. د . فاروق عثمان أباظة

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية

إرهاصات المساندة المصرية لثورة اليمن

(٢٦ سبتمبر ١٩٦٢)

أبدت مصر اهتماما خاصا بتطورات الأحداث السياسية فى اليمن فى إطار اهتمامها بالقضايا القومية ، وخاصة عقب قيام ثورة الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ ، وعقب عقدها لاتفاقية الجلاء مع بريطانيا فى عام ١٩٥٤. وقد علق كثير من الباحثين على تأثيرات ثورة يوليو على اليمن ومن بين أولئك الباحثين إدجار أو بلانس الذى أكد على أن «نجاح ومثالية نظام الثورة الجديد فى مصر - الذى مثله جمال عبد الناصر - كان مصدر إلهام لكثير من مواطنى الدول العربية، ولم تكن اليمن استثناء من بينها . وسرعان ما دوى راديو القاهرة بإذاعة وترديد الشعارات الثورية التى وصلت مباشرة إلى شعب اليمن، وأعطت للثوريين تشجيعا وأملا حيا. وقد أمر الإمام أحمد بوقف تلك الأجهزة الخائنة ومصادرة أجهزة الراديو الموجودة فى الأماكن العامة، غير أنه كان عاجزا عن السيطرة على تلك الأجهزة داخل البيوت الخاصة، ومن ثم أخذ تيار القومية العربية يتدفق داخل اليمن»[١].

وقد ظلت مصر خلال عقد الخمسينيات من القرن الماضى تعمل على تنسيق سياستها مع المملكة العربية السعودية فيما يتعلق بأحداث اليمن، ولذلك حينما قامت حركة أحمد يحيى الثلايا ضد نظام الإمامة فى عام ١٩٥٥ ، أوفدت مصر أحد كبار مسئوليها إلى المملكة العربية السعودية ليراقب الأحداث عن كثب . وليس من شك أن التنسيق المصرى السعودى كان يعنى أن مصر لم تقف موقفا مؤيدا للحركة المضادة للإمام أحمد ١٩٤٨-١٩٦٢ ، بل على العكس كان موقفها مؤيدا للإمام أملا فى أن يتم إصلاح اليمن على يديه ، هذا على الرغم من أن مصر كانت تتبنى التشكيلات السياسية التى أقامها الطلاب اليمنيون فى القاهرة والذين بلغ عددهم أربعمائة طالب. ومن بين تلك التشكيلات السياسية جمعية الاتحاد اليمنى التى أسسها أحمد محمد نعمان وغيرها من التشكيلات

السياسية والطلابية الأخرى .

ومما تجدر الإشارة إليه أن ثمة عوامل مشتركة كانت تجمع بين أهداف مصر والمملكة العربية السعودية والمملكة اليمنية المتوكلية ، ومن بين تلك الأهداف العداء للوجود البريطاني. ومن ثم رأت كل من المملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية أن تحالفا عسكريا مع مصر سيساعدها فى تحقيق مطالبها الإقليمية. وبناء عليه تم فى جدة عقد ميثاق أمن متبادل بين الدول الثلاث فى الحادى والعشرين من أبريل عام ١٩٥٦. ومما جاء فى ذلك الميثاق أن الدول المتعاقدة تعتبر أن كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة منها بمثابة اعتداء عليها جميعها، وعلى أن تتشاور تلك الدول فيما بينها -بناء على طلب إحداها- كلما توترت أو اضطربت العلاقات الدولية بشكل يؤثر على استقلال أو سلامة أراضى أية دولة منها ، وفى حالة توقع خطر الحرب أو قيام حالة مفاجئة يخشى خطرها تبادر الدول المتعاقدة إلى اتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التى يقتضيها الموقف ، ومن ثم تقرر إنشاء مجلس أعلى ومجلس حرب وقيادة مشتركة بين الدول الثلاث[٢].

وليس من شك فى أن ميثاق جدة إنما يدل على مدى التسرع الذى كثيرا ما تندفع وراءه الدول العربية لعقد مثل تلك الاتفاقيات دون التأكد على مدى قدرتها على تنفيذها ، وكان واضحا منذ البداية اختلاف أهداف كل من الدول التى أصدرت هذا الميثاق ، فمصر ابتغت من ورائه مناهضة حلف بغداد وذلك باجتذاب أكبر عدد من الدول لعقد معاهدات ثنائية أو جماعية تكون هى محورها ، بينما كانت المملكة العربية السعودية لا تريد أكثر من تحقيق مطالبها فى البريمى ، فى الوقت الذى كان فيه الإمام أحمد يريد الضغط على البريطانيين فى المناطق الحدودية الجنوبية فى عدن والمشيخات المتاخمة لها .

وعلى نفس النسق تم الإعلان عن الاتحاد الفيدرالى بين المملكة اليمنية المتوكلية والجمهورية العربية المتحدة ، ففى غمرة الحماس الذى صاحب إقامة

الوحدة المصرية السورية تم عقد ميثاق اتحاد الدول العربية فى اليوم الثامن من مارس ١٩٥٨[٣]. وقد نص هذا الميثاق على احتفاظ كل عضو بشخصيته الدولية، كما أقيمت العديد من الأجهزة التى كان مقدرا لها أن تربط بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة ربطا قويا ومن بينها مجلس أعلى للاتحاد ومجلس وزارى يتشكل من ستة أعضاء عن الجمهورية العربية المتحدة بإقليميها الشمالى والجنوبى وستة أعضاء آخرون عن اليمن ، وأنيط بذلك المجلس رسم سياسة الدفاع والميزانية والنقد. وتقرر أن تسهم اليمن بنسبة ٣ ٪ من ميزانية الاتحاد بينما تتكفل الجمهورية العربية المتحدة بباقى الميزانية ، كذلك نص ميثاق الاتحاد على إنشاء مجلس ثقافى واقتصادى ، وتوحيد التمثيل الخارجى عندما لا يوجد لأحد الطرفين تمثيل خاص به[٤].

وإذا كان «هارولد إنجرامز» يشير فى دراسته عن اليمن إلى أن دخول المملكة المتوكلية اليمنية فى اتحاد الدول العربية هو الذى دفع بحكام الإمارات التسع المتاخمة لعدن إلى قبول المشروع البريطانى بإقامة اتحاد الجنوب العربى وعلى رأسه مستعمرة عدن، إذ إن هؤلاء الحكام والسلاطين كانوا يخشون أن يستخدم الإمام أحمد نفوذ الجمهورية العربية المتحدة للقضاء عليهم وضم بلادهم إليه، فإن باحثين آخرين يرون أن زيادة التدخل البريطانى فى الجنوب اليمنى ، وشعور الإمام أحمد بقرب تنفيذ بريطانيا لمشروعها الاتحادى الذى يمكن أن يضع حدا لمطالبه الإقليمية هو الذى دفعه إلى طلب الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة، وعندما تبين له أن ذلك لم يمنع بريطانيا من تنفيذ مشروعها أخذ يأسف على الإجراء الذى تورط فيه ، حيث وجد فى كثرة المستشارين المصريين فى بلاده خطرا يهدد نظامه فضلا عن أنه كان من حق مواطنى أية دولة – وفقا لميثاق الاتحاد– العمل دون قيد فى الدول الأخرى المنضمة إلى الاتحاد .

ومن الطبيعى أن تكون مخاوف الإمام أحمد قد تزايدت حين قامت سلطات الأمن اليمنية بضبط بعض المنشورات باسم الضباط الأحرار فى تعز ، حيث

راودته الشكوك فى أن يكون للمصريين ضلع فى تلك المنشورات ، ومن ثم أصدر أوامره بوضع مدينة تعز تحت نظام الطوارئ.. وحاول فى بداية عام ١٩٥٩ تهدئة النزاع بينه وبين بريطانيا حتى لا يكون بحاجة إلى المصريين ، واقترح عقد اجتماع مشترك بينه وبين بريطانيا وحكام المشيخات فى الجنوب ، غير أن الحكومة البريطانية واجهته بنواياها بتكوين الاتحاد وطلبت منه التفاوض مع ممثليه ، ولكنه خشى إن فعل ذلك أن يكون ذلك بمثابة اعتراف منه بقيام دولة اتحادية متاخمة له فى الجنوب فتراجع عن اقتراحه (٥).

وكان اليمنيون الأحرار سواء فى داخل اليمن أو فى القاهرة على استعداد لتأييد أية حركة ترمى إلى توثيق العلاقات بين اليمن وشقيقاتها من الدول العربية حتى ولو صدرت تلك الحركة عن حكومة الإمام ذاتها، ومن ثم بادر أحرار اليمن المقيمون فى القاهرة إلى إعلان تأييدهم لقيام الاتحاد الفيدرالى بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة(٦)، وعلى الرغم من ذلك التأييد إلا أنهم كانوا يدركون فى الوقت نفسه أن الإمام أحمد دخل فى هذا الاتحاد لمواجهة الموقف المتأزم فى داخلية اليمن بعد أن أخذت العناصر الثورية تنشط ضد نظام الإمامة من أجل تخليص اليمن من الجمود والتخلف(٧)، وكان ما توقعه الأحرار اليمنيون من عدم جدية نظام الإمامة فى القيام بمسئوليات الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة قد تأكد لديهم بالفعل، ومن ثم شهدت السنتان الأخيرتان من حكم الإمام أحمد حدوث الكثير من القلاقل والاضطرابات، وعلى الرغم من أن الإمام أحمد كان على اعتقاد راسخ فى أن الجمهورية العربية المتحدة لها يد فى إحداث تلك القلاقل والاضطرابات ضد حكمه، إلا أنه لم يجرؤ على مواجهتها بالعداء إلا بعد انفصال سوريا عن مصر فى سبتمبر ١٩٦١.

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن فترة التقارب السابقة بين المملكة المتوكلية اليمنية ومصر قد أتاحت الفرصة لكى يجدد الإمام صلاته مع الاتحاد السوفيتي، وتمت تلك الاتصالات عن طريق السفارة السوفيتية فى القاهرة،

وذلك عقب موافقة المؤتمر الشيوعى فى عام ١٩٥٤ على تأييد الحركات الوطنية «البرجوازية». وعلى الرغم من أن نظام الإمامة كان يعد نظاما رجعيا وأقرب ما يكون إلى الأنظمة الإقطاعية، إلا أن الاتحاد السوفيتى استهدف من تقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية للإمام تشجيعه على مناوأة البريطانيين فى الشطر الجنوبى من اليمن. وكان واضحا فى أن تصرف الاتحاد السوفيتى على هذا النحو إنما كان بحكم مصلحته كدولة مناهضة للغرب وليس كزعيم كتلة تتناقض أيديولوجيتها تماما مع النظام الرجعى القائم فى اليمن[٨].

كان من أبرز النتائج التى ترتبت على القلاقل والاضطرابات التى شهدتها اليمن فى الفترة السابقة لقيام الثورة اليمنية فى السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢ ، ازدياد الهوة اتساعا بين نظام الإمامة وبين حركة الأحرار اليمنيين التى كانت تنمو باطراد خارج اليمن ويمتد تأثيرها على اليمنيين فى داخل اليمن ذاتها[٩]، ومن الملاحظ أن حركة الأحرار اليمنيين قد ارتكزت خلال عقد الأربعينيات من القرن الماضى على عدن، حيث كانت بريطانيا تتيح لليمنيين المعارضين للنظام القائم فى صنعاء فرصة الإقامة فى عدن وممارسة نشاطهم هناك ضد نظام الإمامة بشرط ألا يتعارض هذا النشاط مع مصالحها، وقد استهدفت من وراء ذلك إلى الاستفادة من تلك العناصر اليمنية المعارضة كورقة رابحة تضغط بواسطتها على إمام صنعاء إذا ما طالب بضم المناطق الجنوبية الواقعة تحت سيطرتها[١٠]، غير أن قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر كانت حافزاً لكى تصبح القاهرة القاعدة الرئيسية لأحرار اليمن الذين فضلوا الإقامة بها[١١].

الأحرار اليمنيون واحتضان القاهرة لهم

قد يكون من المناسب أن نعرض لطائفة من أولئك الأحرار الذين كان لهم دور إيجابى فى قيام الثورة اليمنية، وشغلوا مناصب رئيسية فى الجمهورية اليمنية بعد قيامها، وإن كان من الملاحظ أن أولئك الأحرار لم يكونوا منتمين

إلى طبقة واحدة من حيث أصولهم الاجتماعية ، بل كان التكوين الثقافى أبعد تأثيرا فى توجيه آرائهم السياسية ، فالذين تلقوا ثقافة تقليدية محضة داخل اليمن مثل عبد الرحمن الإيريانى وأحمد محمد نعمان مالوا إلى مبدأ الإصلاح فى إطار الإمامة، ولم يتحولوا إلى فكر الثورة إلا بعد أن يأسوا من سلوك الإمام أحمد ومن فساد سياسته التى لم تتجاوب مع إصلاح شئون البلاد فى مختلف المجالات، بينما كان محمد محمود الزبيرى يمثل حالة وسطا بين المثقفين ثقافة تقليدية وبين أولئك اليمنيين القلائل الذين أتيحت لهم فرصة الدراسة فى الجامعات الأوروبية[١٢]، والذين رأوا أن الإصلاح فى اليمن يقتضى إحداث تغييرات جذرية فى المجتمع اليمني، وقد عبر هؤلاء عن أفكارهم الثورية وعملوا على تطبيقها فى اليمن مثل محسن العيني، الذى درس فى جامعة باريس، ولم يجد لنفسه بعد تخرجه مجالا للعمل فى موطنه الأصلى فى الشطر الشمالى من اليمن، فذهب إلى عدن حيث عمل مدرسا فى إحدى المدارس الثانوية، وسرعان ما أصبح نقيبا للمعلمين، وأوجد صلات قوية بحزب البعث واهتم بتنظيم الاتحادات العمالية فى عدن، ومثل تلك الاتحادات لدى اتحاد العمال العرب .

وحين سنت الإدارة البريطانية فى عدن فى عام ١٩٦٠ التشريعات المضادة للنقابات العمالية ، اضطر إلى مغادرة عدن والتوجه إلى القاهرة ومن هناك انضم إلى حركة اليمنيين الأحرار ، وعقب قيام الثورة اليمنية عين وزيرا للخارجية، ثم مندوبا دائما للجمهورية اليمنية فى الأمم المتحدة ، واعتبر ذلك بمثابة إبعاد له نظرا لما عرف عنه من ميول بعثية .

أما محمد محمود الزبيرى فقد تفتحت عيناه منذ الصغر على أوضاع بلاده التى عانت من التخلف ، فاشتغل بالسياسة وهو لا يزال طالب علم ، ثم سافر إلى القاهرة لاستكمال دراسته فى كلية دار العلوم ، ومكث بمصر عدة سنوات اتسع فيها أفقه السياسى ، وعاد بعد ذلك إلى اليمن حاملا معه قانون جمعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى كان يرى فيه سبيلا لتقدم بلاده ، غير أنه حين قدم ذلك القانون إلى الإمام يحيى كان جزاؤه السجن فى «الأهنوم»

قرابة عام ، وعلى أثر إطلاق سراحه لجأ إلى تعز حيث كان يقيم فيها سيف الإسلام أحمد ولى العهد حينذاك، الذى كان الأحرار اليمنيون يرون فيه الأمل للقيام بالإصلاح والتقدم بالبلاد ، وحين خاب أملهم لجأ الكثيرون منهم إلى عدن وكان من بينهم الزبيرى والنعمان وغيرهما ، وكان أولئك الأحرار يعرفون لدى خصومهم «بالعصريين» على اعتبار أن العصرية - من وجهة نظر هؤلاء الخصوم- تهمة كبيرة تلحق بصاحبها العار والدمار(١٣).

وخلال وجود الزبيرى فى عدن نجح بالتعاون مع بعض رفاقه فى إصدار جريدة «صوت اليمن»، التى كانت تعنى بالتعريف بالأوضاع المتردية فى اليمن الشمالى ، وتدعو المواطنين هناك إلى الثورة والقضاء على نظام الإمامة العتيق الذى كان على رأسه آنذاك الإمام يحيى حميد الدين. وحين قامت حركة ١٩٤٨ التى تزعمها ابن الوزير اختير الزبيرى للعمل وزيرا للمعارف فى الحكومة الانقلابية الجديدة باعتباره واحدا من أبرز المحرضين على قيام حركة ١٩٤٨ بشعره ونثره وبمواقفه السياسية. ومن ثم كان فشل تلك الحركة يعنى الحكم عليه بالإعدام، ولكنه سلم من الموت بأعجوبة حيث تصادف وجوده آنذاك فى المملكة العربية السعودية ضمن الوفد الذى أرسلته حكومة الانقلاب إلى السعودية للتباحث مع وفد الجامعة العربية ، برئاسة عبد الرحمن عزام أمين الجامعة ومرافقة ذلك الوفد إلى صنعاء ، وكانت المملكة العربية السعودية قد تعمدت تأخير وفد الجامعة العربية حتى يكتمل الحصار حول الحركة الوليدة .

وحين يئس الزبيرى من إقناع الملك عبد العزيز بن سعود بالعدول عن موقفه غير المؤيد للنظام الجديد فى اليمن ، قرر مع رفاقه العودة إلى صنعاء ، لكنهم فوجئوا بسقوط الحركة الانقلابية فى أيدى أتباع الإمام أحمد ، وكان على الزبيرى أن ينجو بنفسه ففر إلى باكستان وقضى فيها بضع سنوات يبكى مصرع الرفاق ويهدهده الحنين إلى الوطن(١٤).

وعقب قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، فتحت القاهرة ذراعيها لاحتضان الزبيرى

وأمثاله ممن ينشدون الحرية والتقدم لبلادهم.. وفى القاهرة واصل الزبيرى كفاحه السياسى حيث أعلن من هناك عن قيام الاتحاد اليمنى - وهو التنظيم الحزبى الجديد الذى خلف حزب الأحرار والجمعية اليمنية الكبرى - وكان للزبيرى ورفاقه دور كبير فى التمهيد لقيام الثورة اليمنية فى السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢ ، وعلى أثر قيامها عاد الزبيرى إلى وطنه حيث اختير وزيرا للتربية والتعليم فى حكومة الثورة ، ثم نائبا لرئيس الوزراء لشئون الإعلام والتربية. ولم يكن الزبيرى على مدى حياته يحفل بالمناصب الرسمية ، لذلك هجر مكتبه وذهب إلى الريف ليدافع عن منجزات الثورة الأساسية وفى مقدمتها النظام الجمهورى حتى استشهد فى الثلاثين من مارس١٩٦٥[١٥].

ويعد أحمد محمد نعمان من اليمنيين الأحرار الذين اتصفوا إلى حد كبير بالاعتدال فى مواقفهم السياسية ، إذ كان يراوده الأمل فى أن يتحقق الإصلاح فى اليمن فى إطار نظام الإمامة ، ولكنه بعد أن يئس من سلوك الإمام أحمد الذى لم يتجاوب مع إصلاح شئون البلاد ، التجأ إلى القاهرة وانضم هو ونجله محمد نعمان إلى حركة اليمنيين الأحرار ، وعرف بين رفاقه «بالأستاذ» بما ينطوى عليه هذا اللقب من التسليم له بعمادة الحركة[١٦].

وقد يكون من المناسب أن نشير فى هذا السياق إلى عبد الله السلال، الذى قدر له أن يكون على رأس الثور ة اليمنية عند قيامها فى السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢. ولم يكن السلال من اليمنيين الذين كافحوا خارج وطنهم، حيث ظل بحكم وظيفته كضابط فى الحرس الخاص بالإمامة داخل اليمن، غير أنه تأثر إلى حد كبير بحركة الأحرار اليمنيين فى الخارج، وبما كانوا يذيعونه عبر إذاعة صوت العرب ويكتبونه فى صحف القاهرة ويصدرونه من نشرات تندد بالأوضاع المتردية فى اليمن وتشحذ الهمم للقيام بالثورة ضد النظام .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن السلال ولد فى القاهرة فى عام ١٩٢٢ ، وكان يمثل الفئة المتواضعة من فئات المجتمع اليمنى إذ كان والده حرفيا ، وكان

الإمام يحيى على قناعة بأن أبناء هذه الفئة يمكن كسب ولائهم بسهولة ، ولهذا اختار من بينهم أول بعثة عسكرية يرسلها إلى العراق. وتدرب السلال فى المدرسة العسكرية فى بغداد ، وصادف وجوده فى العراق العديد من الانقلابات التى قام بها الجيش العراقى والتى تأثر بها. وعندما عاد إلى اليمن تم إلحاقه بالجيش اليمنى الذى كان إسماعيل صفوت - وهو أحد الضباط العراقيين - يتولى مسئولية تدريب أفراده.

غير أن السلال مر بسنوات من الركود بسبب خضوعه لقيادة إسماعيل صفوت الذى استنكر حركة رشيد عالى الكيلانى ، ورفض تسليم رسالة أرسلها الكيلانى إلى الإمام يحيى يطلب فيها أن يمارس على قدر طاقته ضغطا عسكريا على البريطانيين فى عدن مساندة لحركته. غير أن هذا الركود الذى عاشه السلال لم يلبث أن تحول إلى قيامه بعمل إيجابى فاعل على أثر تولى الضابط العراقى الجديد جميل جمال مسئولية تدريب الجيش اليمني، الذى أثار إعجاب السلال ورحب بالتعاون معه فى حركة ١٩٤٨. ونتيجة لفشل تلك الحركة كان نصيب السلال من العقوبة قضاء سبع سنوات فى سجن «حجة»، قام فى أثنائها بقراءة بعض الكتب الثورية التى جعلته يتحول عن فكر الإصلاح على نمط ابن الوزير إلى نهج الثورة بهدف اجتثاث نظام الإمامة من جذوره[١٧].

وحين قامت حركة أحمد يحيى الثلايا فى عام ١٩٥٥ كان السلال لا يزال فى سجن «حجة» مما جنبه التعرض لأية عقوبة ، وعلى أثر انتهاء فترة سجنه تم تعيينه قائدا لميناء الحديدة مما أتاح له فرصة الاتصال بالعالم الخارجى ، ومعرفة إمكانية تسليح الجيش اليمنى بما كان يرد من الأسلحة والذخائر عن طريق ذلك الميناء الذى وضع تحت قيادته. غير أنه لم تلبث أن حامت الشبهات حوله عندما وقعت محاولة اغتيال الإمام أحمد فى مستشفى الحديدة فى عام ١٩٦١ ومن ثم تم إبعاده عن الجيش. ولكن البدر عقب توليه السلطة خلفا لوالده الإمام أحمد أمر بتعيينه قائدا لأركان حرب الجيش وقائدا لحرسه الخاص ، كدليل على حسن نيته على البدء فى تنفيذ الإصلاحات ، ومما لاشك فيه أن

تعيين السلال فى تلك المناصب الجديدة كانت عاملا هاما فى إنجاح الثورة التى قام بها الضباط الأحرار فى سبتمبر من عام ١٩٦٢[١٨].

عبد الرحمن البيضانى ودوره فى مساندة الثورة اليمنية

ارتبطت المساندة المصرية للأحرار اليمنيين المقيمين فى القاهرة قبيل نشوب الثورة اليمنية وبعدها بعبد الرحمن البيضانى الذى كان له دور إيجابى فى تحريك تلك المساندة، وذلك بإجرائه الاتصالات المكثفة مع القيادات المصرية، وبإلقائه الضوء على قضية اليمن وكفاح الأحرار فى الصحافة المصرية وإذاعة صوت العرب . ويمكن القول بأن جميع الأحرار اليمنيين الذين لجأوا إلى القاهرة وأقاموا فيها قبل قيام الثورة بعشر سنوات ، لم تتح لهم الفرصة لشرح قضية اليمن وتوضيح مأساة بلادهم بالقدر الذى تحقق على يديه فى الشهور القليلة التى سبقت قيام الثورة[١٩]. ومن المؤكد أن صلة المصاهرة بين أنور السادات وعبد الرحمن البيضاني، حيث كان الأخير متزوجا من السيدة ليلى شقيقة جيهان السادات، سهلت عليه عرض قضية اليمن عن طريق الصحافة والإذاعة ومقابلة المسئولين، هذا فضلا عن اللقاءات المتعددة التى أتاحها له السادات مع الرئيس جمال عبد الناصر، والذى استطاع من خلالها إقناعه بتقديم المساندة المصرية، خاصة فى الوقت الذى كانت فيه القيادة المصرية مهيأة للقيام بعمل ناجح يعوض مصر وزعامتها الناصرية إخفاقها على الساحة العربية نتيجة انفصال سوريا، هذا فضلا عن أن مساندة مصر لقضايا التحرر العربى كانت من المبادئ الأساسية فى سياستها .

وكان للبيضانى بفضل الدور الذى قام به فى ثورة اليمن ، والذى أوضحه بإسهاب فى كتاب له بعنوان «أزمة الأمة العربية وثورة اليمن» مكانة كبيرة عقب قيام الثورة. غير أنه لم يلبث أن فقد تلك المكانة لدى بعض العناصر الثورية، هذا فضلا عن عداء العناصر الملكية له بطبيعة الحال، مما اضطر القيادة المصرية إلى العمل على تقليص دوره على الرغم من الدور الذى قام به حفاظا

على التوازن بين الأطراف المتصارعة .

وقد حاول كثير من الباحثين تحليل الأسباب التى أدت إلى فقدان البيضانى لمكانته عقب قيام الثورة ، حيث يرى «إدجار أوبلانس» بصدد ذلك أن عدم تقدير البيضانى من قبل بعض العناصر الثورية يرجع إلى أنه كان يمثل نموذج الديبلوماسى المثقف بدلا من كونه عاملا نقابيا أو سياسيا ثوريا خشنا تمت صناعته[٢٠]، هذا فضلا عن كونه شافعى المذهب على حين أن معظم الثوريين اليمنيين كانوا من الزيود ، وإن كان -كما يرى البعض خلافا لما ذكره أو بلانس - أن البيضانى لم يكن هو الشافعى الوحيد فى الهيئة الحاكمة بل وجد إلى جانبه آخرون من الشوافع[٢١].

وحقيقة الأمر أن ارتباط البيضانى بالمساندة المصرية للثورة وما ترتب عليها من وجود مصرى مؤثر فى اليمن، لم ينظر له البعض على اختلاف خلفياتهم بدرجة واحدة من التقدير والارتياح. وكان صعود نجم البيضانى بشكل ملحوظ، إضافة إلى ثقافته الواسعة ، جعلت مواقفه تتسم بطابع خاص يختلف عن طابع الكثيرين من الثوار اليمنيين. ولعل ما يؤيد ذلك ما ذهب إليه إدجار أوبلانس بقوله « ... قد كره السلال البيضانى على الرغم من أن الأخير كان لطيف المعشر تجاهه علانية ، ولكن سرعان ما وقع الرجلان سرا مع بعضهما البعض فى خلافات شديدة ، إذ كان كل منهما على نقيض الآخر فى كثير من الأمور» ، وقد عزا «بلانس» اختيار السلال للبيضانى ليكون نائبا له فى رئاسة الوزارة ثم رئيسا لها ، نتيجة الضغط الذى وقع عليه من قبل القيادة المصرية ، لأن عبد الناصر أراد أن يكون هناك رجل قريب من مركز السلطة متعاطف مع مصر يمكن الركون إليه[٢٢]، وإن كان لم يلبث عبد الناصر أن اضطر بعد ذلك إلى التضحية به حفاظا على ولاء وتعاطف الأطراف المتضاربة الاتجاهات[٢٣].

وكان من الواضح أن تضحية عبد الناصر بالبيضانى إنما يرجع إلى ظاهرة عدم الانسجام بينه وبين العسكريين من القيادات اليمنية ، إذ تميزت نظرة عبد

الله السلال بأنها كانت واقعية فى معالجة مشكلات الأمن ، وأنه لا بد من إثارة الرعب لكى يضمن ولاء القبائل للثورة ، وكان هذا ما جعله يعمل على تطبيق بعض أساليب العهد الإمامى السابق ، فأعدم عشرين شخصا علنا خلال الأسبوعين الأولين من ارتقائه السلطة ، وأطلق الوعود بالمنح المالية السخية لكل من يأتى برأس أحد من أعضاء الأسرة الإمامية. وعلى النقيض من ذلك كان موقف البيضانى أكثر اعتدالا، هذا فضلا عن رفعه الشعارات الاشتراكية ، فى الوقت الذى كانت فيه اليمن فى حاجة إلى رأس المال الخاص لتنفيذ مشروعاتها العمرانية ، والاستفادة من رؤوس الأموال الوطنية المبعثرة خارج البلاد ، إذ من المعروف أن التجار اليمنيين ينتشرون فى عدن وشرق إفريقيا وبلدان الخليج العربى وحققوا قدرا كبيرا من النجاح. وقد ووجه البيضانى بانتقادات كثيرة ، وخاصة بالنسبة لرؤيته لاستصلاح الأراضى الزراعية التى تحتاج إلى استثمارات كبيرة ، فضلا عن وجود العديد من المعوقات ، حيث تقل نسبة السكان فى بعض المناطق [٢٤]. ومن المؤكد أن عبد الناصر قد أدرك قيمة السياسة الواقعية التى اتبعها العسكريون اليمنيون وعلى رأسهم السلال ، ولهذا وجد من الأفضل احتجاز البيضانى فى القاهرة حتى لا يثير انشقاقا فى حكومة اليمن وهى ما تزال غير ثابتة الأركان آنذاك[٢٥].

وقد يكون من المفيد أن نتعرف على الدور الذى قام به البيضانى فى الإعداد للثورة اليمنية، وفى الحصول على الدعم المصرى لها ، من خلال تتبعنا للجهود التى قام بها فى هذا الشأن ، والتى نجحت بفضل وجوده فى مصر واتصاله بالعديد من قيادتها ، طبقا لما أوضحه فى كتابه المشار إليه .

ويتضح من السيرة الذاتية للبيضانى أنه ولد بالقاهرة فى اليوم التاسع من شهر أغسطس عام ١٩٢٦ من أم مصرية هى ابنة أحد شيوخ الأزهر، ومن أب يمنى يدعى عبد ربه أحمد عبد الله البيضانى الذى ينتمى إلى قبيلة مراد اليمنية[٢٦] ، وكان قد وفد على القاهرة للدراسة فى الأزهر ، وفضل البقاء فى مصر بعد انتهاء دراسته وزاول مهنة المحاماة أمام المحاكم الشرعية. وقد ألحق

ابنه بمدرسة التجارة بالظاهرالذى حصل منها على دبلوم التجارة المتوسطة ، ونظرا لرغبته فى الالتحاق بالجامعة فقد حصل خلال دراسته التجارية على شهادة الثقافة العامة وتبعها بشهادة التوجيهية فى عام ١٩٤٦ مما أهله للالتحاق بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، كما التحق فى الوقت نفسه بالجامعة الأمريكية لدراسة الفلسفة وعلم النفس والاجتماع ، وساعده على المضى فى دراسته انضمامه فى عام ١٩٤٩ إلى البعثة اليمنية التعليمية فى القاهرة ، وكان ذلك بناء على توسط أحد أصدقاء والده لدى الإمام أحمد عن طريق السيد على إسماعيل المؤيد ، الذى كان يعمل مندوبا لليمن لدى الجامعة العربية .

ونظرا لإجادة البيضانى للغة الإنجليزية فقد كلفه على المؤيد بالقيام بأعمال الترجمة وكتابة المذكرات ومرافقة الوفود الرسمية اليمنية التى كانت تتردد على القاهرة ، وفى عام ١٩٥٠ حصل على ليسانس الحقوق ، كما انتهى من دراسته فى الجامعة الأمريكية. ولم يلبث بعد ذلك أن استدعاه الإمام أحمد فسافر إلى تعز فى ٢٥ أكتوبر ١٩٥٠ ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى يشاهد فيها اليمن وكان يبلغ من العمر آنذاك أربعة وعشرين عاما [٢٧].

وقد أصدر الإمام أحمد أمرا بتعيينه سكرتيرا أولا بالسفارة اليمنية فى القاهرة ونائبا للسيد على المؤيد فى تمثيل اليمن لدى الجامعة العربية، ومن ثم أتيحت له فرصة وجوده فى القاهرة لكى يواصل دراسته فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة حيث حصل على دبلوم الدراسات العليا فى الاقتصاد السياسى فى عام ١٩٥٢ ، ثم دبلوم الدراسات العليا فى الشريعة الإسلامية فى عام ١٩٥٣ .

وعقب قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ استدعاه الإمام أحمد للمرة الثانية ، وطلب منه أن يعمل على إيجاد علاقة وثيقة بين اليمن ورجال الثورة، وكان الإمام أحمد يهدف من توثيق تلك العلاقة أن يظهر أمام الشعب اليمنى بتطلعه إلى الإصلاح ، إلى جانب تأييد مصر لابنه سيف الإسلام البدر ، حيث كان يسعى إلى جمع الأنصار من حوله والإعلان عن ولايته للعهد بدلا من أخيه الحسن الذى كان

يتطلع بدوره إلى تلك الولاية[٢٨].

وتنفيذا لرغبات الإمام فقد توجه البيضانى إلى مجلس قيادة الثورة فى نهاية عام ١٩٥٢ ، وهناك قابله المقدم كمال عبد الحميد سكرتير عام وزارة الحربية ومدير الشئون العربية فى مجلس قيادة الثورة ، الذى وعده بعرض الأمر على جمال عبد الناصر ، وحين عاود البيضانى لقاءه مع المقدم كمال عبد الحميد أبلغه الأخير بترحيب قيادة الثورة بتوطيد علاقتها مع الإمام أحمد وابنه سيف الإسلام البدر. وبناء على تعليمات القيادة المصرية سافر المقدم كمال عبد الحميد برفقة عبد الرحمن البيضانى إلى اليمن فى يناير ١٩٥٣ لمقابلة الإمام أحمد وابنه البدر .

وفى تلك المقابلة أبلغ كمال عبد الحميد الإمام أحمد بما تراه القيادة المصرية بأن من صالحه الشخصى أن يرعى ابنه البدر، خاصة وأنه يتصدر مشروعات النهضة فى اليمن، وهو الأمر الذى يزيده شعبية، ويعتبر فى الوقت نفسه رصيدا شخصيا وتاريخيا للإمام. وقد حمل الإمام أحمد المقدم كمال عبد الحميد رجاء موجها إلى القيادة المصرية بإرسال بعثة من الضباط المصريين لتدريب الجيش اليمنى فى تعز، ليكون نواة صالحة للقوة العسكرية التى يمكن أن يعتمد عليها البدر إذا ما فرض عليه الصراع من قبل عمه سيف الإسلام الحسن، الذى كان فى ذلك الوقت يجمع حوله الكثير من رجال الدين والقبائل .

وتمهيدا لوصول البعثة المصرية العسكرية إلى اليمن ، حرص البيضانى على إبلاغ المقدم أحمد يحيى الثلايا - مدرب الجيش اليمنى - عن رغبة الإمام أحمد بمجيء تلك البعثة ، كما مهد لمقابلة تمت بين الإمام والثلايا وفيها طلب الإمام من الثلايا اختيار الأفراد الصالحين الذين سيدربهم الضباط المصريون فور وصولهم إلى تعز ، كما أكد الثلايا للإمام تأييد الجيش اليمنى للبدر . ونتيجة للجهود التى قام بها البيضانى أمر الإمام أحمد بترقيته إلى رتبة مستشار للسفارة اليمنية فى القاهرة ، إلى جانب استمرار تمثيله لليمن مع السيد على

المؤيد فى جامعة الدول العربية[٢٩].

البعثات العسكرية المصرية إلى اليمن

فى مطلع عام ١٩٥٤ كان وصول أولى البعثات العسكرية المصرية إلى مدينة تعز، وكان يرأس تلك البعثة الرائد كمال أبو الفتوح وعضوية كل من النقيب محمد أحمد لبيب، والنقيب يوسف عفيفى ، والنقيب سعد رءوف[٣٠]. وتبعت تلك البعثة بعثة مصرية أخرى من ضباط الشرطة تكونت من الرائد عبد الله الحامد والنقيب مصطفى الهمشرى وآخرون من أجل تنظيم وتدريب أفراد الشرطة اليمنيين. وقرر الإمام أحمد - بناء على توصية ابنه البدر - تعيين الملازم محمد قائد سيف ، وكان أحد أول ضابطين يمنيين تخرجا فى الكلية الحربية المصرية، ليكون ضابط اتصال بينه وبين البعثتين العسكريتين المصريتين، مع تكليفه بالاشتراك مع المقدم أحمد يحيى الثلايا، قائد الجيش اليمنى فى تعز باستلام هدية الأسلحة والذخيرة التى وصلت من مصر برفقة البعثة العسكرية الأولى .

وكانت هذه الهدية تتكون من أربع مدافع هاون ، وستة مدافع رشاشة ثقيلة ، واثنا عشر رشاش بورسعيد، وعشرين بندقية صناعة مصرية ، وأربعين قنبلة يدوية ، وعشر صناديق ذخيرة لتلك الأسلحة تم نقلها جميعا إلى مخزن قصر «صالة» بتعز. وقد أمر الإمام أحمد السيد محمد الحوثى ، أمير الجيش فى تعز، أن يشترك مع الثلايا فى اختيار مائتى جندى وتسليمهم للبعثتين العسكريتين المصريتين كى يبدءوا تدريبهم على الأنظمة والأسلحة الحديثة .

غير أنه لم تكد تنقضى أكثر من خمسة وأربعين يوما على قيام الضباط المصريين بأداء مهمتهم فى تدريب الجنود اليمنيين ، حتى وضح تراجع الإمام أحمد الذى أصدر تعليماته بإيقاف عمليات التدريب ، وأمر بتفريق الجنود واستقرارهم فى ثكناتهم العسكرية. وأدى تراجع الإمام على هذا النحو أن فقد الثلايا والملازم محمد قائد سيف الأمل فى إصلاح الجيش اليمنى. وحين

وصلت تلك الأنباء إلى عبد الرحمن البيضانى فى القاهرة طلب مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر حيث أوضح له صراحة استحالة بناء قوة عسكرية فى اليمن فى ظل نظام الإمامة الذى يعوق الإصلاح، وطلب عبد الناصر من البيضانى الاتصال بأنور السادات الذى كان قد عهد إليه بمتابعة شئون اليمن، من أجل إبداء النصائح التى تمهد لإصلاح اليمن. وكان من الواضح أن عبد الناصر كان آنذاك متحفظا فى إبداء رأيه فى أمور تناهض نظام الحكم فى اليمن، وأنه كلف السادات بذلك حتى إذا نجحت الثورة فى اليمن كانت رصيدا لمصر، وإذا فشلت فإن السادات – الذى لم يكن يتولى فى ذلك الوقت منصبا رسميا غير عضويته فى مجلس قيادة الثورة وسكرتاريته للمؤتمر الإسلامى – يتحمل وحده مسئولية ذلك الفشل، ولا تتحمل مصر رسميا ما يترتب على ذلك الفشل إذا ما حدث(٣١).

وتنفيذا لتوجيهات عبد الناصر التقى البيضانى بأنور السادات فى مكتبه فى المؤتمر الإسلامى ، وطلب إليه أن ينقل لعبد الناصر ما وصلت إليه أحوال اليمن من تردى ، وفقدان الأمل فى سيف الإسلام البدر الذى أصبح خاضعا لسطوة والده الإمام أحمد لدرجة أنه لزم الصمت على تجميد البعثة العسكرية المصرية فى دار الضيافة فى تعز ، وبقاء ضباطها بلا عمل ، وقد أكد له السادات تأييد الرئيس عبد الناصر لأفكاره الإصلاحية من أجل تقدم اليمن .

ومن الواضح أن الاتصالات التى كان يقوم بها البيضانى فى القاهرة قد وصلت إلى الإمام أحمد، الذى أصدر أوامره بنقل البيضانى للعمل قائما بأعمال السفارة اليمنية فى بون الغربية، وذلك من أجل إبعاده عن القاهرة وبالتالى عن محيط الطلاب اليمنيين بعد أن علم بأنه ينشر بينهم روح القيادة الجماعية من خلال الاتحادات الطلابية، فضلا عن علاقاته بالأحرار اليمنيين الذين لجئوا إلى القاهرة .

وعلى الرغم من إبعاد البيضانى عن القاهرة، إلا أن اتصالاته ظلت قائمة مع السادات، الذى لم يلبث أن التقى به فى منتصف مارس ١٩٥٥ فى دار القنصلية المصرية بفرانكفورت حيث كان السادات قد عرج على ألمانيا خلال جولة قام بها فى العديد من الدول الأوروبية . وفى تلك المقابلة أفصح السادات للبيضانى أنه تلقى رسالة سرية من محمد قائد سيف خلال زيارته لليمن أوضح له فيها توقف أعمال البعثة العسكرية المصرية، وأنه لا فائدة من استمرار الإمام أحمد قائما بالحكم ولا مستقبل لليمن فى ظل ابنه البدر . كما أسر السادات للبيضانى أن الإمام أحمد طلب منه إبلاغ الرئيس عبد الناصر عن رغبته فى سحب البعثة العسكرية المصرية من اليمن، زاعما أنه حريص على راحة أعضائها الذين وصلوا إلى حالة نفسية مرهقة، وألمح السادات للبيضانى أنه يعتقد أن انقلابا وشيكا سوف يحدث فى اليمن، وأن سيف الإسلام عبد الله - شقيق الإمام أحمد - يعمل على توطيد علاقته بمصر ويحاول أن يقدم نفسه كداعية لإصلاح اليمن.

انقلاب الثلايا ١٩٥٥

لم يلبث أن تحقق ما تنبأ به السادات ، إذ لم يكد يمضى أكثر من أسبوعين على تلك المقابلة التى جرت بينه وبين البيضانى فى فرانكفورت ، حتى شهدت اليمن فى ٣١ مارس ١٩٥٥ انقلابا عسكريا قاده المقدم أحمد يحيى الثلايا قائد الجيش اليمنى وشارك فيه الملازم محمد قائد سيف، وأعلن رجال الانقلاب أن سيف الإسلام عبد الله تولى الحكم خلفا للإمام أحمد الذى تنازل لأخيه عن منصب الإمامة. غير أن وكالات الأنباء لم تلبث أن أعلنت فى ٤ أبر يل ١٩٥٥ نبأ فشل الانقلاب ونجاح الإمام أحمد فى القبض على الثلايا وعلى أخيه عبد الله ، وهكذا لم يعش الانقلاب سوى أربعة أيام حيث سقط فى اليوم الخامس[٣٢].

وتمشيا مع السياسة المصرية التى لم تتسرع فى تأييد الانقلاب وفقا لمقتضيات الحكمة فى مثل تلك المواقف، التزمت البعثة المصرية العسكرية - التى كانت لا تزال فى تعز- الصمت إزاء تلك الأحداث. وقد بادر الإمام أحمد

بإعدام المقدم الثلايا بينما تمكن محمد قائد سيف من الفرار إلى عدن ولجأ بعد ذلك إلى القاهرة. وحينما علم الإمام بقرب وصول بعثة مصرية برئاسة حسين الشافعى - عضو مجلس قيادة الثورة - لتهنئته بفشل الانقلاب، سارع بإعدام شقيقيه عبد الله والعباس خشية أن ترجو مصر العفو عنهما. ومع أن الإمام أحمد نجح فى إفشال الانقلاب ، إلا أن استشعاره بالخطر المحدق به من جراء ازدياد المعارضة ضد حكمه جعلته يسارع إلى توقيع ميثاق أمن متبادل فى جدة مع كل من الملك سعود والرئيس جمال عبد الناصر فى الحادى والعشرين من أبريل ١٩٥٦ ، وهو الميثاق الذى سبقت الإشارة إليه(٣٣).

وفيما يبدو أن الإمام أحمد كان يقدر موقف البعثة العسكرية المصرية التى لم تقدم أية مساعدة لرجال الانقلاب، الذين لم يعرفوا استخدام الأسلحة الحديثة التى أحضرتها البعثة معها ، ومن ثم استقر رأيه على أن تستمر البعثة فى عملها ، والاستعانة بمدربين مصريين آخرين ، ومن أجل ذلك أوفد ابنه البدر فى أول زيارة له إلى مصر لكى يطلب تزويد بلاده ببعثة عسكرية جديدة. وكان مما يدفع الإمام إلى المضى فى تدريب الجيش اليمنى إدراكه بأن أخاه سيف الإسلام الحسن بدأ يعمل على تكوين جبهة من رجال الدين والقبائل لمعارضة الإمام أحمد وابنه البدر وتطالب بتغيير ولاية العهد من البدر، الذى كان متسما بضعف الشخصية إلى سيف الإسلام الحسن القوى الشكيمة، ومن ناحية أخرى كان الحسن متألما لإعدام أخويه، وحرمان الإمام له من الإمامة من بعده(٣٤).

واستمرارا للموقف المصرى المعتدل تجاه الإمامة ، فقد استجابت القيادة المصرية لطلب الإمام أحمد بتزويد اليمن ببعثة عسكرية جديدة ، وفى منتصف فبراير ١٩٥٧ ، عقب تخلص مصر من العدوان الثلاثى وآثاره ، وصلت البعثة العسكرية المصرية برئاسة العقيد حسن فكرى الحسينى إلى ميناء الحديدة . وأبدى الإمام أحمد خلال مقابلته لأعضائها موافقته على خطة التدريب التى عرضها رئيس البعثة عليه ، وكانت تلك الخطة تقتضى استقدام عدد أكبر من المدربين العسكريين الذين وصلوا إلى اليمن بالفعل فى أوائل شهر مايو ١٩٥٧ .

واستهلت البعثة عملها بتدريب بعض أفراد من قبائل الزرانيق فى الزيدية الواقعة إلى الشمال من ميناء الحديدة، وقاسى أعضاء البعثة الكثير من حر تهامة وشدة الرطوبة فيها. ولم يلبث أن أصدر الإمام أوامره بأن تتولى البعثة تدريب كتيبة من حرسه الملكى فى صنعاء ، ومن ثم انتقلت البعثة إلى «عمران» الواقعة إلى الشمال من صنعاء، حيث عانت هناك من برودة الشتاء .

وعلى الرغم من تلك الظروف المناخية السيئة التى واجهتها البعثة فقد استطاعت تدريب عدة سرايا من المشاة والمدافع المضادة للطائرات والأسلحة المعاونة إلى جانب العناصر الإدارية القائمة على خدمة تلك السرايا ، وأتمت البعثة تدريبها المكثف فى خلال ثلاثة أشهر فقط ، بدلا من اثنا عشر شهرا ، وذلك خوفا من أن يعدل الإمام عن فكرة التدريب بتأثير مستشاريه. وقد احتفل سيف الإسلام البدر - الذى كان أبوه قد أوكل إليه الإشراف على النواحى العسكرية - بتخريج أول فوج مدرب على يد البعثة العسكرية المصرية ، والذى أطلق عليه «فوج البدر»، كما عمل البدر على إعادة فتح الكلية الحربية قرب نهاية عام ١٩٥٨ ، والتى كان قد تم إغلاقها عقب انقلاب عبد الله الوزير فى عام ١٩٤٨ .

وقد تمكنت البعثة العسكرية المصرية من إقناع البدر بإقامة العديد من المؤسسات العسكرية ، ومن بينها مدرسة خاصة لتخريج ضباط الصف ، ومركز تدريب للأسلحة ، ومدرسة للمدرعات ، ومدرسة للطيران ، ومركز تدريب لعمليات الصاعقة ، حيث تولى الملازم نبيل الوقاد - الذى قدر له أن يكون أول شهيد مصرى فى اليمن عقب قيام الثورة اليمنية - تدريب الجنود على أعمال الصاعقة. وكان من نتيجة الأنشطة العسكرية التى قامت بها البعثة المصرية ، أن أقدم الإمام على الاستغناء عن المدربين الروس وأسند المهام التى كانوا يقومون بها إلى الضباط المصريين .

وليس من شك فى أنه قد ترتب على وجود البعثة العسكرية المصرية فى

اليمن نشر الوعى الوطنى والقومى بين الضباط والجنود اليمنيين[٣٥]، مما أثار حفيظة الإمام ، وخاصة أن وجود العديد من اليمنيين الأحرار فى القاهرة كان يضاعف من توجسه ، والمرجح أنه ندم آنذاك على استقدام البعثة العسكرية المصرية ، ورأى أن يتخلص منها تدريجيا فنقل أفرادها إلى أرض تهامة شديدة الحرارة ، حيث صار العمل مستحيلا بالنسبة لهم ،إذ كان الإمام يخشى أن ينتقل تيار الثورة على أيديهم إلى ضباط وجنود جيشه[٣٦].

وعلى الرغم من تلك الشكوك التى كانت تراود الإمام فقد ظلت العلاقات بين مصر والإمامة تتسم بقدر كبير من الاعتدال ، ولعل مما يؤكد ذلك أنه على أثر عودة الإمام أحمد من رحلته العلاجية فى روما عن طريق البحر فى أكتوبر عام ١٩٥٩ ، وعند وصول الباخرة المقلة له إلى بورسعيد صعد عليها الرئيس عبد الناصر لمقابلة الإمام وتحيته ، وليبث فيه الثقة تجاه ولى عهده البدر الذى كان يخشى من تآمره عليه أثناء وجوده فى روما. غير أن الإمام ما كاد يصل إلى اليمن حتى أصدر أوامره بإلغاء كل ما شرع البدر فى تنفيذه ، وتوعد رؤساء القبائل الذين طالبوا بالإصلاح ، ففر الكثيرون منهم إلى عدن .

دعاية الأحرار اليمنيين ضد نظام الإمامة

على الرغم من أن سيف الإسلام البدر كانت له نوايا طيبة فى الإصلاح إلا أن ضعف شخصيته وسيطرة والده عليه ، أفقد الأحرار اليمنيين كل أمل فى أن يتحقق الإصلاح على يديه. وعندما التقى عبد الرحمن البيضانى بالسادات فى إحدى المصحات العلاجية فى فرانكفورت «بادناوهيم» فى الحادى عشر من أغسطس ١٩٦٠ ، عرض عليه سوء الأوضاع فى اليمن ، وموقف البدر الميئوس منه ، والذى كانت مصر تأمل فى أن يتمكن من تطوير اليمن بعد أن يصل إلى الحكم خلفا لوالده. وقد أظهر السادات اقتناعه بوجهة نظر البيضانى وغيره من أحرار اليمن، ووعد بإقناع الرئيس عبد الناصر بذلك حتى يتيح للبيضانى نشر أفكاره فى إحدى المجلات المصرية وفى إذاعة صوت العرب[٣٧].

وليس من شك فى أن المقابلات التى أجراها البيضانى مع السادات على الرغم من سريتها ، إضافة إلى ما كان يقوم به من نشاط إعلامى فى ألمانيا قد نمت إلى علم الإمام أحمد وابنه البدر مما أوغر صدرهما ضده ، فى الوقت الذى استحسن فيه أحمد نعمان ومحمد محمود الزبيرى المحاضرة التى ألقاها البيضانى فى مدينة «دورتموند» ، وقررا نشرها فى إحدى إصدارات الاتحاد اليمنى فى القاهرة ، ونشرت تلك المحاضرة بالفعل فى كتيب بعنوان «ألاعيب متوكلية» ، ومما يذكر أن السادات بعد اطلاعه على هذا الكتيب ازداد اقتناعه بسوء الأوضاع فى اليمن ، ولا ينتظر أى أمل فى البدر فى الثورة ضد نظام الإمامة أو القيام بأية إصلاحات فى اليمن(٣٨).

وفى محاولة من الإمام أحمد الضغط على مصر التى بدأت تسمح بنشاط الأحرار اليمنيين المقيمين بها فى التعبير عن آرائهم ، قرر فى يونيو ١٩٦٠ تبادل السفارات مع العراق ، فى وقت كانت فيه العلاقات المصرية العراقية على عهد عبد الكريم قاسم قد وصلت إلى أقصى درجة لها من التدهور. ولم يلبث أن ازداد نشاط الأحرار اليمنيين فى القاهرة ، خاصة بعد أن ترك البيضانى عمله بالسفارة اليمنية فى السودان والتى كان الإمام أحمد قد قرر نقله إليها ، وقد اعتبر البيضانى هذا القرار عقوبة له على تنصله بدعوى مرضه من رئاسة محكمة لمعاقبة من أثاروا الشغب فى اليمن فى عام ١٩٥٩ .

وقد فضل البيضانى البقاء فى مصر ، وكان قد حصل أثناء وجوده فى ألمانيا على درجة الدكتوراه فى الاقتصاد السياسى من جامعة بون ، وفى القاهرة انضم إلى الأحرار اليمنيين الذين استقر رأيهم على إعادة تشكيل الاتحاد اليمنى ، الذى انتخب له فى مايو ١٩٦١ مجلس إدارة من أحمد محمد نعمان رئيسا ، وعبد الرحمن البيضانى نائبا للرئيس للشئون السياسية ، ومحمد محمود الزبيرى نائبا للرئيس للشئون الداخلية و شئون اليمنيين فى الخارج ، وأحمد المعملى مديرا تنفيذيا لمكتب الاتحاد ، ومحمد على الأكوع أمينا للشئون المالية ، وهاشم طالب مسئولا عن شئون الطلبة ، ومحمد نعمان سكرتيرا لشئون

الإعلام وجنوب اليمن ، وحسن السحولى سكرتيرا عاما لمجلس الاتحاد .

وقد بدأ الاتحاد اليمنى عقب تنظيمه الجديد القيام بنشر الدعوة إلى الثورة الجذرية ، كما أخذ يتصل بالسلطات المصرية وممثلى الدول العربية فى القاهرة لشرح أحوال الشعب اليمنى وحتمية التغيير فى اليمن. وكان الاتحاد مع ذلك يحاول ضبط نشاطه بالقدر الذى لا يقلق سلطات الأمن ، إذ كان الرئيس عبد الناصر لا يزال حتى ذلك الوقت محتفظا بالحد الأدنى من علاقته باليمن فى إطار عضويتها فى الجامعة العربية ، فضلا عن الاتحاد الفيدرالى القائم بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة .

التغير فى الموقف المصرى الرسمى تجاه الإمامة

كان انفصال سوريا عن مصر فى الثامن والعشرين من سبتمبر ١٩٦١ ، نذيرا بحدوث تغيرات فى الموقف المصرى إزاء الإبقاء على الاتحاد الفيدرالى مع اليمن[٣٩]، فعلى أثر وقوع الانفصال أذاع الإمام أحمد قصيدة ضد الاشتراكية هاجم فيها الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة صدور قوانين يوليو الاشتراكية فى عام ١٩٦١ ، ونشرت أجزاء من تلك القصيدة على سبيل التهكم فى بعض الصحف المصرية[٤٠]، واضطر عبد الناصر بدوره إلى الرد على الإمام ومهاجمته بكل شدة فى الخطاب الذى ألقاه فى بورسعيد بمناسبة عيد النصر فى الثالث والعشرين من ديسمبر ١٩٦١ .

وعندما كرر الإمام هجومه على عبد الناصر فى بيان أصدره وأذاعه راديو صنعاء فى الخامس والعشرين من ديسمبر ١٩٦١ ، أعلنت مصر فى السابع والعشرين من الشهر نفسه إنهاء الاتحاد الفيدرالى مع اليمن. وكما هو واضح أنه على الرغم من أن الإمام أحمد هو الذى بدأ الهجوم على مصر ورئيسها، إلا أن إنهاء الاتحاد لم يصدر عن المملكة المتوكلية اليمنية بل صدر عن القاهرة[٤١]، وقد اشتمل البيان المصرى الذى صدر فى هذا الشأن على الأسباب التى دفعت بحكومة الجمهورية العربية المتحدة إلى اتخاذ هذا القرار والذى ضمنته موقف

المسئولين السلبى فى اليمن - ويقصد بهم الإمام وحكومته - خلال أكثر من ثلاث سنوات من إقامة هذا الاتحاد ، كما ركز البيان على اختلاف الأنظمة الاجتماعية فى مصر عما هى عليه فى اليمن ، وأنه لا يوجد فى طبيعة أى من الحكومتين ما يجعل قيام مثل هذا الاتحاد أداة سياسية فاعلة قادرة على الإسهام فى تطوير النضال العربي، ومن حيث أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة أقبلت على خطوة ذلك الاتحاد تملؤها الآمال بأن تستطيع من جراء تلك الخطوة أن تكون أداة نافعة فى خدمة الشعب اليمنى وفى خدمة قضاياه العادلة، إلا أن تجارب السنوات السابقة أكدت بما لا يقبل مجالا للشك أن الشعب اليمنى لم يستفد من تلك التجربة ، وانتهى البيان بالتأكيد على أن الجمهورية العربية المتحدة لا تزال تشعر بالتزامها العميق تجاه حركة الجماهير العربية فى سعيها إلى إقامة العدل الاجتماعي[٤٢].

كان هذا التغير الذى طرأ على الموقف المصرى دافعا لأحرار اليمن إلى الدعوة صراحة للثورة ضد نظام الحكم فى اليمن ، وأخذ عبد الرحمن البيضانى بداية من ٢٢ يناير ١٩٦٢ ينشر أفكاره ويكتب سلسلة من المقالات فى مجلة روز اليوسف التى أفسحت صدرها له بناء على توصية السادات لكتابة تلك المقالات[٤٣]، التى أخذ يشرح فيها نظام الحكم فى بلده وينتقده ، ويحاول أن يلقى الضوء على اليمن وعن سير الأمور فيها . ومن الملاحظ أن تلك المقالات لم تمنعها الرقابة التى كانت مفروضة على الصحافة رغم أنها كانت تهاجم نظام حكم فى دولة منضمة رسميا إلى جامعة الدول العربية .

وقد حاول الإمام أحمد امتصاص غضب المعارضين له فى الداخل والخارج وذلك بإعلانه - فى مناسبة عيد جلوسه الرابع عشر - عن تفويض ابنه البدر للقيام بالسلطة حال حياته ويخلفه فيها بعد مماته ، وقد أراد الإمام بذلك أن يقنع الشعب اليمنى بنوايا بدر الإصلاحية ، كما أراد فى الوقت نفسه أن يقطع الطريق على أخيه الحسن الذى كان لا يزال متطلعا إلى خلافته ، وعلى أن يتعود الشعب اليمنى الخضوع للبدر فى ظل جبروت والده الذى كان ينقاد له معظم

الشعب اليمنى انقيادا أعمى[٤٤]، وبناء على تعليمات جديدة من الرئيس عبد الناصر أبلغ السادات عبد الرحمن البيضانى فى مقابلة جرت بينهما بأنه سيساند جميع أنشطة الأحرار اليمنيين فى القاهرة [٤٥]، وذلك على الرغم من أن جهاز المخابرات العامة ممثلا فى وكيله عزت سليمان لم يكن مقتنعا بإمكانية قيام الثورة فى اليمن[٤٦].

التخطيط للثورة اليمنية

كان تنظيم الضباط الأحرار قد بدأ يتشكل تدريجيا وبحذر بالغ ، وتمكن الأحرار اليمنيون فى القاهرة من إيجاد صلات بينهم وبين الضباط الأحرار فى الجيش اليمني . وقد تعرض الإمام أحمد التى زادت النقمة عليه وسقطت هيبته إلى محاولة اغتيال فى مارس ١٩٦١ حين اتفق ثلاثة من الضباط الأحرار على قتله عند وصوله إلى مستشفى الحديدة لزيارة قائد حرسه الذى أصيب فى حادثة اصطدام سيارة الإمام مع سيارة أخرى، بيد أن الإمام لم يصب فى تلك الحادثة المتعمدة . ومع أنه قد أصيب بعدة طلقات نارية من قبل أولئك الضباط إلا أنه لم يمت ، وسرعان ما تم القبض عليهم حيث فضل أحدهم الانتحار[٤٧]، وعلى الرغم من التعذيب الذى تعرض له الضابطان الآخران إلا أنهما لم يكشفا عن تنظيم الضباط الأحرار، ولم يذكرا شيئا عن وجود شركاء لهما[٤٨].

كان أول اجتماع سرى عقده تنظيم الضباط الأحرار فى ديسمبر ١٩٦١[٤٩]، وذلك بعد أن اطمأنوا إلى المساندة المصرية لهم ، وفى ذلك الاجتماع وضح انفعالهم بما كان يجرى حولهم من أحداث أكدت لديهم الرغبة فى إحداث التغيير، ومن ثم عملوا على الاتصال بزعماء القبائل لإدراكهم أن الجيش القبلى هو الذى أنقذ الإمامة من الانقلابات التى قامت ضدها، ومن ثم عملوا على التأكيد لهم بأن الثورة لا تعنى سحب الامتيازات التى كانوا يتمتعون بها ، وعلى العكس من ذلك فإنها سوف تفسح لهم المجال لكى يشاركوا مشاركة أعظم فى شئون البلاد[٥٠].

وقد حدثت تلك الاتصالات فى الوقت الذى فقدت فيه بعض كبريات القبائل ومن بينها «خولان»، و«حاشد» ثقتها بالإمام أحمد ، الذى نكث بعهوده معها مما أدى إلى افتقاده عنصرا هاما من عناصر التأييد له. وكان مما ساعد على الاستجابة لفكرة الثورة انتشار أجهزة الراديو «الترانزستور» بين أيدى اليمنيين فى البادية ، وعلى مدرجات الجبال مما كان له أثره فى تحطيم أسوار العزلة التى فرضت على الشعب اليمني. وفيما بين شهرى يونيو وأغسطس ١٩٦٢ ، شهدت اليمن لأول مرة ظاهرة القيام بمظاهرات تهتف بسقوط الحكم الإمامى وتنادى بالجمهورية وترفع صور جمال عبد الناصر ، وتردد شعارات الوحدة الوطنية وسقوط التفرقة العنصرية والمذهبية .

ومع تصاعد نقمة المثقفين والعسكريين ومعظم فئات الشعب اليمنى ضد نظام الإمامة، اتجه تنظيم الضباط الأحرار فى الجيش اليمنى إلى الإعداد لقيام الثورة. وعلى الرغم من الأهمية البالغة للدور الذى قام به المثقفون اليمنيون الأحرار فى القاهرة فى التمهيد لقيام الثورة ، إلا أن مهمة القيام بها وقعت على عاتق الضباط الأحرار فى اليمن ، وإن كان يفهم مما ذكره البيضانى أنه وعبد الغنى مطهر – من كبار التجار فى تعز – قاما بوضع خطة الثورة وعرضا تلك الخطة فى اليوم الثانى من شهر يونيو ١٩٦٢ على أنور السادات ، الذى سرعان ما أبلغهما بموافقة عبد الناصر عليها واستعداده لتقديم المساعدات العسكرية والتى بدونها لن يقتنع الضباط الأحرار بوقوف مصر إلى جانبهم ، خاصة و أن صلاح نصر رئيس المخابرات العامة ، كان مقتنعا بنجاح الثورة وأهمية المساندة المصرية لها. وقد استطاع البيضانى أن يحصل بالفعل من القيادة المصرية عن طريق اللواء صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية على كمية من الأسلحة والذخيرة، تم إرسالها عدة مرات من القاهرة إلى مطار عدن .

ويذكر البيضانى بصدد ذلك أنه كان يملأ بعض الحقائب بالأسلحة والذخائر ثم يتجه بها إلى بيته حيث تقوم زوجته بحملها برفقتها كأى مسافرة ، ويقوم الطيار اليمنى عبد الرحيم عبد الله بتأمين وصولها إلى عدن ، وتسليمها هناك

إلى محمد ميهوب ثابت الذى يقوم بتهريبها إلى الضباط الأحرار فى الشطر الشمالى من اليمن(٥١).

وقد اعتمد الضباط الأحرار فى الجيش اليمنى فى الإعداد للثورة على كل من عبد الله جزيلان مدير الكلية الحربية ، وحسن العمري، الذى كان يجمع فى يديه جميع خيوط الضباط الأحرار فى صنعاء ، والقاضى عبد السلام صبره مدير بلدية صنعاء، الذى كان يجمع فى يده كل خيوط الثوار من القبائل اليمنية، والعميد عبد الله السلال، قائد حرس الإمام الذى كان يتابع تلك الحركات الثورية بسرية تامة .

كما كان من ضمن قوات الثوار فى صنعاء عبد الله الضبى مدير الأمن ، ونائبه العقيد محمد عبد الواسع ، اللذان كانا يقومان بتجنيد قوات الأمن لصالح الثورة استعدادا لقيامها. وكانت القوة الثورية المدنية والعسكرية فى مدينة تعز تتألف من عدد كبير من الشباب اليمنى الثائر ورجال القبائل الأحرار إلى جانب عدد كبير من العلماء والتجار ، فى مقدمتهم القاضى عبد الرحمن الإيريانى ، رئيس الهيئة العليا الشرعية بالإنابة ، الذى كان يتمتع بصلات طيبة مع رؤساء القبائل ورجال الدين ، وعبد الغنى مطهر ، الذى وهب الكثير من أمواله وجهده لمساندة التنظيمات الثورية.

وبينما كان من المقرر أن يبدأ الضباط تحركهم فى نهاية شهر سبتمبر ١٩٦٢، إلا أنهم فوجئوا بنبأ موت الإمام أحمد فى تعز فى اليوم التاسع عشر من شهر سبتمبر ١٩٦٢ ، حيث أعلنت إذاعة صنعاء فى ذلك اليوم نبأ موت الإمام أحمد وتولى ابنه سيف الإسلام البدر الإمامة من بعده(٥٢)، الذى بادر بإرسال برقية إلى جمال عبد الناصر يخطب فيها ود القاهرة ، وأعلن فور توليه السلطة أنه سوف يتخذ إجراءات إصلاحية هامة من بينها تكوين مجلس استشارى يتكون من أربعين عضوا ، يجرى انتخاب نصفهم ويتم تعيين النصف الآخر ، إلى جانب تكوين مجالس بلدية منتخبة فى مدن اليمن ، وتنظيم مجلس وزارى ينعقد

برئاسته، ووعد البدر بالتوسع فى المشروعات العمرانية والتعليمية، كما أعلن إلغاء نظام الرهائن حيث كان والده ما زال حتى وفاته يحتفظ بألف رهينة[٥٢].

وليس من شك فى أن تلك الوعود التى أعلنها الإمام البدر كان لها تأثيرها لدى بعض الأحرار اليمنيين فى القاهرة، ولعل ما يؤكد ذلك أن أحمد محمد نعمان قام بمقابلة بعض المسئولين المصريين وأقنعهم بصرف النظر عن فكرة قيام الثورة مؤكدا تأييد البدو للإمام البدر، وأن كثيرا من اليمنيين أصبحوا يتطلعون إلى الإصلاح على يديه، وأنه ورفاقه محمد على الأكوع ، وأحمد عبد الرحمن المعملى ، وحسن السحولى، أرسلوا برقية تأييد للبدر فى ٢١ سبتمبر ١٩٦٢. أما بالنسبة للضباط الأحرار فقد انقسموا على أنفسهم، إذ رأى بعضهم إعطاء فرصة للبدر بينما أصر الآخرون على القيام بالثورة، وخاصة حين ذكر البدر فى إحدى خطبه أنه سيسير على نهج والده. وعلى الرغم من أن بعض المثقفين الأحرار ومن بينهم أحمد نعمان قد لانوا نتيجة إعلان البدر عقب توليه الحكم من أنه سيقوم بإجراء إصلاحات هامة، إلا أنهم ما لبثوا أن أبدوا يأسهم من إصلاح نظام الإمامة ، ومن ثم كانوا على استعداد لتأييد الثورة فور قيامها.

أما عن الرئيس جمال عبد الناصر فقد أبدى يأسه على أثر وصول البدر إلى الحكم من احتمال قيام ثورة فى اليمن ، حتى أنه بدأ يوجه اللوم لعبد الرحمن البيضانى على توريط مصر بما كان ينشره من مقالات ويذيعه من صوت العرب ، وأمر بمنعه من الكتابة ومن الإذاعة ، إذ كان يرغب فى أن يفتح صفحة جديدة مع الإمام البدر. ويبدو ذلك من برقية التعزية التى بعث بها إليه ، وعلى الرغم من أنها جاءت متأخرة عدة أيام ، إلا أنها كانت تعبر عن الأمل الذى كان لا يزال يراود عبد الناصر فى أن يتحقق إصلاح اليمن على عهد البدر. ولعل ذلك يبدو من نصوص البرقية التى جاء فيها «تلقيت برقيتكم التى حملت إعلانكم الرسمى لوفاة المغفور له والدكم ومبايعتكم بعده إماما لليمن ، وإنى إذ أبعث إليكم بالعزاء القلبى لفقد والدكم الراحل أتمنى لكم فى هذا الوقت الخطير الذى تبدأون فيه تحمل مسئوليتكم أعظم التوفيق فى خدمة شعبكم العظيم وفى ملاقاة أحلامه

وأمانيه من أجل مستقبل عزيز يحقق للإنسان كرامته التى شرفه بها الله جل علاه»(٥٤).

وفى الوقت الذى كان فيه عبد الناصر وبعض عناصر المخابرات المصرية قد أظهروا تعاطفهم مع الإمام البدر، ويأملون أن يتحقق إصلاح اليمن على يديه، تلقى البيضانى برقية فى الحادى والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢ من العقيد حسن العمرى تشير بطريقة رمزية إلى أن التحرك الثورى سيتم بعد ثلاثة أيام ، وحين قام البيضانى باطلاع السادات على فحوى تلك البرقية ، علق عليها بقوله «إما أن يكون العمرى قد فقد عقله ، أو أن يكون الثوار فى اليمن قد أمسكوا بزمام المبادرة». وحين أبلغ السادات عبد الناصر بما جاء فى برقية العمرى استبعد ما جاء بها واستمر على رفضه فى عدم السماح للبيضانى بإذاعة أية بيانات من إذاعة صوت العرب .

ولم تكد تنقضى أربعة أيام من وصول برقية العمرى حتى تلقى البيضانى فى الخامس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢ برقية أخرى عن طريق مكتب السادات وبرموز السفارة المصرية فى صنعاء ، حيث كان السكرتير الأول فى السفارة ، محمد عبد الواحد ، يسهل نقل برقيات الثوار إلى مصر. وكانت تلك البرقية موقعة من القاضى عبد الله الحجرى وزير المواصلات ، وجاء بها إلى أنه فى أثناء انعقاد مجلس الوزراء برئاسة الإمام البدر فى ٢٤ سبتمبر ١٩٦٢ ، أبلغ البدر أعضاء المجلس أن معلومات وصلت إليه من الشيخ عاطف المصلى تتضمن أسماء وتحركات عدد من الضباط بقصد القيام بثورة ضد النظام ، وأنه - أى البدر - قد وافق على اقتراح السيد بن على بن إبراهيم وزير الخارجية بالقبض عليهم فورا وإعدامهم فى الحال ، واختتم الحجرى برقيته بمناشدة البيضانى الاستمرار فى إذاعة بياناته التى كانت قد توقفت منذ الثامن عشر من سبتمبر ، وذلك من أجل بث الثقة فى نفوس الثوار. وسارع البيضانى بعد موافقة السادات بإرسال برقية إلى الملازم على عبد الغنى عن طريق السفارة المصرية يخبره فيها بما جاء فى برقية الحجرى ، وينصحه بأن يتحرك الثوار

فورا ، أو يعملوا على إنقاذ حياتهم بالتوجه فى الحال إلى عدن إلى أن يتم تدبير وسيلة لوصولهم إلى القاهرة ، وأن مصر لا تزال عند موقفها فى تأييد الثورة بمجرد قيامها(٥٥) .

كان على السادات طوال يوم الخامس والعشرين من سبتمبر ، أن يتوسط لدى الرئيس عبد الناصر حتى يذيع البيضانى بيانا واحدا وأخيرا عن طريق إذاعة صوت العرب ، ووافق عبد الناصر على ذلك على شريطة أن يطلع السادات على كل فقرة من فقرات البيان قبل إذاعته ، وتم إذاعة البيان فى مساء نفس اليوم ، مما أعاد الحماس لدى الثوار بمساندة مصر لهم بعد الموقف الرسمى الذى بدا مؤيدا للبدر عقب توليه السلطة .

تحرك الضباط الأحرار فى صباح يوم الأربعاء الموافق ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، وكان عددهم أربعين ضابطا من مجموع ضباط الجيش اليمنى الذى كان يقدر عددهم بنحو أربعمائة ضابط. وقد استقر رأى الضباط الأحرار على أن يقودوا الدبابات بأنفسهم دون إشراك الجنود، خشية أن يكون من بينهم من يعصى الأوامر إذا ما تبينوا أن التحرك سيكون موجها ضد قصر «البشائر» ، الذى كان يقيم فيه الإمام البدر فى صنعاء. وقام الضباط الأحرار بضرب القصر وهم يهتفون باسم الثورة والجمهورية، كما قاموا باحتلال الإذاعة ، وأعملوا القبض على ركائز النظام الأمامى ، واختاروا العميد عبد الله السلال قائد حرس البدر ليكون على رأسهم (٥٦).

وقد تمكن الإمام البدر على أثر محاصرة القصر وضربه من الخروج منه متخفيا، حتى قابلته امرأة فى الطريق ومنحته رداء جندى تمكن بواسطته من الهرب . بينما أعلن القائمون بالثورة خبر موت الإمام تحت أنقاض القصر ، وكان عليهم المضى فى تأكيد ذلك لحسم الموقف إلى جانبهم ، غير أن المراسلين الأجانب أكدوا أنهم شاهدوا أجزاء كثيرة من القصر قائمة على حالها مما جعلهم يتشككون فى خبر وفاة الإمام(٥٧) .

وفي الوقت نفسه تلقى البيضاني برقية برموز السفارة المصرية في صنعاء تفيد بأن الملازم علي عبد الغني قام بالثورة ، وتأسف البرقية لعدم النجاح في القبض على البدر الذي هرب من صنعاء عندما ضربت قوات الثوار قصره بقذائف الدبابات. وتم الرد على تلك البرقية في الحال بوجوب إعلان موت البدر تحت أنقاض القصر ، ولا يضير الأمر شيئا إذا ما ظهر بعد ذلك عندما تستقر الثورة(٥٨).

وفي اليوم التالي لإعلان إذاعة صنعاء قيام الثورة ، أذاعت بيانها الأول الذي أوضح أهداف الثورة وسياستها في المجالات الداخلية والقومية والدولية، وتشكيل مجلس قيادة الثورة برئاسة العميد عبد الله السلال القائد العام للقوات المسلحة، إلى جانب مجلس للسيادة برئاسة محمد علي عثمان ، ومجلس وزراء برئاسة عبد الله السلال، وتعيين الدكتور عبد الرحمن البيضاني نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للاقتصاد والثروة المعدنية(٥٩)، وإن كان من الملاحظ أنه لم تقض وقت طويل حتى رأى السلال أن يتفرغ للدفاع عن الثورة ، وقرر أن يتولى البيضاني رئاسة مجلس الوزراء إلى جانب ما عهد إليه من أعمال أخرى ، وإن كان ذلك إلى حين(٦٠) .

مساندة مصر العسكرية للثورة اليمنية

كانت الثورة في حاجة إلى دعم عسكري للدفاع عن استمرارها ، وكان من الطبيعي أن يلجأ القائمون بالثورة إلى مصر ، التي استجابت لطلب الثوار ، وذلك عقب اعترافها بالنظام الجديد في ٢٩ سبتمبر ١٩٦٢. ومن ثم فلم تكد تمضي أكثر من عشرة أيام على الثورة وإعلان سقوط الإمامة وقيام الجمهورية العربية اليمنية ، حتى وصلت إلى ميناء الحديدة في اليوم الخامس من أكتوبر ١٩٦٢ الباخرة المصرية «السودان »، وعلى متنها سرية مصرية كانت تتكون من مائة ضابط وجندي مع أسلحتهم الخفيفة وذخيرتهم اللازمة وما يحتاجون إليه من مهمات وشئون إدارية ، وقد خرج عشرات الألوف من أبناء الحديدة وتهامة ومن

أنحاء اليمن لاستقبال أولى المساعدات العسكرية المصرية ، وكان لوصول هذه السرية فعل السحر في نفوس الكثيرين الذين هبوا للدفاع عن الثورة[٦١].

وفي خلال شهر أكتوبر قام أنور السادات بزيارة الجمهورية العربية اليمنية عقب إعلان قيامها واعتراف مصر بها ، وتم في تلك الزيارة توقيع اتفاقية التعاون العسكري معها ، وكانت تلك الاتفاقية تطبيقا وامتدادا لما سبق أن وقعه الرئيس عبد الناصر مع الملك سعود والإمام أحمد في ميثاق جدة في الحادي والعشرين من أبريل ١٩٥٦. ولما كانت اليمن في حاجة مستمرة إلى مساعدات عسكرية ، فقد قرر جمال عبد الناصر أن يقوم المشير عبد الحكيم عامر بإدارة العلاقات المصرية اليمنية - بناء على إصراره على القيام بتلك المهمة - وكان يهدف بذلك تعويض ما سبق أن حدث من انفصال سوريا عن مصر [٦٢].

كان من الواضح أن القرار الذي اتخذته القيادة المصرية بشأن المساعدة العسكرية لثورة اليمن قد اتخذ على عجل ، ويرجع ذلك بسبب الدور الذي كان سائدا لعبد الناصر ونظام حكمه ، إذ لم تكن مصر تعرف آنذاك تنظيما سياسيا شعبيا ، أو سلطة تشريعية منتخبة يصدر عبرها وبموافقتها تلك القرارات الخطيرة. وتؤكد جميع المصادر المتعلقة بهذا الشأن عدم قيام المجلس التنفيذي أو وزارة الخارجية بأي دور في صنع هذا القرار ، الأمر الذي يجعلنا نتفق مع وجهة النظر القائلة بأن قرار المساندة العسكرية لثورة اليمن إنما يتحمل مسئوليته صناع هذا القرار وهم الرئيس عبد الناصر نفسه ، ومجلس الرئاسة ، والمؤسسة العسكرية في مصر آنذاك[٦٣]، وإن كان هذا القرار لقي تأييدا على المستوى الشعبي في إطار الدفع الثوري القومي الذي كان غالبا في ذلك الحين .ومن المؤكد أن تدخل مصر لمساندة الثورة اليمنية فور قيامها ، لم يكن يصاحبه إدراك القيادة المصرية بأن المسألة ستطول ويتسع نطاقها إلى ما وصل إليه الحال بالفعل خلال السنوات الست التي أعقبت إعلان الجمهورية العربية اليمنية ، ومن ثم أصبح من العسير على القيادة المصرية بعد أن قامت بمد يد العون والمساعدة أن تتراجع عن موقفها ، وخاصة في الوقت الذي

أصبحت فيه الجمهورية اليمنية محاطة بأعدائها وخصومها من جميع الجهات . ويرجع ذلك إلى أن إسقاط نظام الإمامة وإعلان الجمهورية قد افتقد تأييد وإجماع القبائل اليمنية الزيدية، وكان من الصعوبة بمكان إقناع هؤلاء بحكومة مدنية لا تستند إلى زعامة روحية مما أكد حاجة الجمهورية اليمنية إلى مساندة خارجية ، وخاصة عندما تبين أن الإمام البدر ما زال على قيد الحياة ، وأنه موجود في المملكة العربية السعودية ويحظى بتأييدها ومساندتها. كما أعلن سيف الإسلام الحسن - عم الإمام بدر - تأييده التام لابن أخيه على الرغم من تنافسهما السابق على ولاية العهد. وتكاتف الرجلان في شن الحرب ضد الجمهورية اليمنية ، حيث قاد الحسن القوات التي زحفت من جهة الشمال الشرقي ، بينما قاد البدر القوات الزاحفة من جهة الشمال الغربي ، وفي خلال شهر فبراير ١٩٦٣ أصبح الملكيون يسيطرون على نصف البلاد تقريبا خاصة في الشمال والشرق ، كما تسللوا إلى الجنوب عن طريق إمارة بيحان واحتلوا مأرب وجريب ، وكان ذلك بمساعدة سلاح الجو الملكي البريطاني في عدن ، الذي أتاح للقوات الملكية التسلل إلى الشطر الشمالي من اليمن ، مما دفع بحكومة الجمهورية اليمنية إلى رفع شكوى لمجلس الأمن في الثامن والعشرين من شهر فبراير ١٩٦٣ ضد الحكومة البريطانية، بينما اقتصرت سيطرة الجمهوريين على مثلث تعز- صنعاء - الحديدة ، وكان ذلك بمساعدة القوات المصرية العسكرية[٦٤]. وقد ظل الصراع قائما بين الملكيين والجمهوريين طيلة السنوات الست التالية من قيام الثورة وإعلان الجمهورية اليمنية .

تأثير ثورة اليمن على الحركة الوطنية في الشطر الجنوبي من اليمن

كان للثورة اليمنية تأثيرها على تطور الحركة الوطنية في الشطر الجنوبي من اليمن من ناحية ، وعلى مركز بريطانيا في عدن والإمارات المتاخمة لها من ناحية ثانية. وقد أحدث هذا التأثير انعكاسه على مجموعة المصالح الخاصة ببريطانيا في الشرق الأوسط بصفة عامة ، حيث كانت القاعدة البريطانية في

عدن تقوم بدور رئيسي في رعاية تلك المصالح ، إلى جانب الدفاع عن التحالف الغربي بحماية الشرق الأوسط من سيطرة أية قوة معادية تظهر في هذا النطاق[٦٥].

وتجدر الإشارة إلى أن قاعدة عدن قد تفوقت على غيرها من القواعد البريطانية في الشرق الأوسط[٦٦]، كما تزايدت أهميتها منذ نهاية حقبة الخمسينيات من القرن الماضي مع ظروف المد الثوري القومي الذي اجتاح العالم العربي آنذاك، ولعل ذلك مما جعل بريطانيا تهتم بتطويرها لكي تصبح مقرا رئيسيا لقيادتها العسكرية في الشرق الأوسط بوجه عام ، وهو الأمر الذي تحقق بالفعل في عام ١٩٦٠ [٦٧] . وسرعان ما أكدت الأحداث على أهمية تلك القاعدة البريطانية ، إذ إن الدعم العسكري البريطاني للكويت حين وجدت تهديدا من العراق على عهد عبد الكريم قاسم في عام ١٩٦١ ، قد أقنع المسئولين البريطانيين بضرورة الحفاظ على عدن كأهم قاعدة لبريطانيا في الشرق الأوسط والبقاء فيها إلى أطول وقت ممكن[٦٨].

وكان من أبرز المشكلات التي واجهتها بريطانيا منذ أوائل الستينيات من القرن الماضي ، أنه في الوقت الذي بلغت فيه قاعدة عدن ذروة أهميتها ، كانت الحركة الوطنية في الشطر الجنوبي من اليمن قد بلغت هي الأخرى قمة تصاعدها ، متطلعة إلى التخلص من الاستعمار البريطاني ونيل الاستقلال .

وعلى الرغم من أن الحركة الوطنية في الشطر الجنوبي من اليمن تعود في بدايتها إلى عقد الأربعينيات من القرن الماضي ، إلا أنها لم تلبث أن اكتسبت قوة دفع هائلة منذ منتصف الخمسينيات ، ويرجع ذلك للعديد من الأسباب من بينها تزايد قوة الحركة النقابية العمالية في عدن ، التي أكدت فاعليتها بسبب الانتعاش والازدهار الاقتصادي النسبي الذي تميزت به عدن خلال سنوات الحرب العالمية الثانية وفي أعقابها[٦٩]، يضاف إلى ذلك ما حققته مصر من انتصارات على الاستعمار الغربي بتوقيعها معاهدة الجلاء مع بريطانيا في عام

١٩٥٤ ، ونجاحها في إفشال العدوان الثلاثي عليها ، وما صاحب ذلك من فقدان بريطانيا كل أمل لها في استعادة قاعدة قناة السويس[٧٠] .

وقد ترتب على تلك الأحداث تأثير معنوي إيجابي في العالم العربي، ولم تكن اليمن الجنوبي استثناء من ذلك، حيث تطورت الحركة الوطنية فيها وتعددت التشكيلات والتنظيمات السياسية للمطالبة بالاستقلال، وأخيرا جاءت ثورة اليمن في سبتمبر ١٩٦٢ كي تؤدي بدورها إلى تصعيد الحركة الوطنية ضد الوجود البريطاني في الشطر الجنوبي من اليمن بوجه عام وفي عدن بوجه خاص .

وقد حاولت بريطانيا من جانبها امتصاص نقمة الحركة الوطنية عليها بتنفيذ مشروعها الاستعماري بإنشاء اتحاد الجنوب العربي الذي يجمع عدن بالنواحي التسع المتاخمة لها. وعلى الرغم من المعارضة العنيفة التي واجهتها ، إلا أن تلك المعارضة لم تقف حائلا دون مضي بريطانيا في تنفيذ مشروعها ، حيث حصلت على موافقة المجلس التشريعي في عدن على قيام الاتحاد في اليوم السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢ ، أي في نفس اليوم الذي تحرك فيه الثوار في الشطر الشمالي من اليمن لإسقاط نظام الإمامة ، مما كان يعني أن الثورة اليمنية قامت في أسوأ توقيت يمكن أن تواجهه بريطانيا بالنسبة لمصالحها في عدن ، إذ كان من الطبيعي أن يكون للثورة اليمنية انعكاساتها السلبية على تلك المصالح[٧١] . ولعل ذلك مما أدى إلى موقف بريطانيا الذي وضح في معاداته للثورة ، وتمثل ذلك العداء في المساندة التي قدمتها بريطانيا لأعداء الثورة من ناحية ، وإلى تأخر اعترافها بالجمهورية العربية اليمنية من ناحية ثانية .

وقد أظهرت ردود الفعل الوطنية في الشطر الجنوبي من اليمن حماسا هائلا لقيام الثورة في الشطر الشمالي ، ورفعت شعارات الوحدة بين شطري اليمن كبديل لاتحاد الجنوب العربي[٧١] ، وازدادت المعارضة للحكومة البريطانية في عدن ، وبصدد ذلك أكدت العديد من التقارير الإستراتيجية إلى أن أكثر مصادر

الخطر الذي بدأت تتعرض له بريطانيا في عدن كان ممثلا في حكومة صنعاء بسبب دعاوى قادتها بأن عدن والنواحي التسع المجاورة لها هي جزء لا يتجزأ من اليمن .

وليس من شك في أن الموقف المصري المساند للجمهورية اليمنية شكل بدوره خطرا داهما على الوجود البريطاني في الشطر الجنوبي من اليمن بصفة عامة وفي القاعدة البريطانية في عدن بصفة خاصة. وقد سبق لبريطانيا أن عانت من الحملات الدعائية التي كانت تقوم بها مصر بداية من السنوات الأولى من عقد الخمسينيات ضد الوجود البريطاني وضد حكام الإمارات العربية في الجنوب ، والتي وصلت إلى حد اتهامهم بالخيانة لموقفهم المؤيد لاتحاد الجنوب العربي الذى كانت بريطانيا تعمل على تنفيذه [٧٢] . وكان للحملات الدعائية المصرية أثرها في تدعيم موقف القوى الوطنية المضاد لذلك الاتحاد الاستعمارى، ومساندة الانتفاضات الوطنية المعادية للوجود البريطاني ، كما عملت إذاعة صوت العرب بالقاهرة على تحية بعض القبائل المناهضة لبريطانيا، واعتبرتها بمثابة جيش التحرير الوطني[٧٣].

ومن المرجح أن التأثير المصري الدعائي على الوطنيين في الشطر الجنوبي من اليمن ، كان من بين العوامل التي دفعت بريطانيا إلى توقيع معاهدة الجلاء مع مصر في أكتوبر من عام ١٩٥٤ ، إذ كانت الحكومة البريطانية تأمل بتوقيعها لتلك المعاهدة أن يتوقف عبد الناصر عن تأييده للوطنيين في جنوب اليمن، فضلا عن توقف تأييده للإمام أحمد في مطالبته بضم الشطر الجنوبي تحقيقا لوحدة اليمن، ولكن لم يلبث أن خاب أمل بريطانيا، إذ لم يكد عام ١٩٥٥ يبدأ حتى ظهر نجم عبد الناصر كزعيم للمعارك الوطنية ضد الأحلاف الاستعمارية الغربية، وعمل على توثيق علاقته بكل من المملكة العربية السعودية واليمن وتأييد مطالبهما الإقليمية ضد بريطانيا في البريمي وفي الشطر الجنوبي من اليمن .

وكان من الطبيعي أن يتوجس الإنجليز من ذلك التطور على أساس أن إمام اليمن لم يكن يمثل قوة جذب للعناصر الوطنية في جنوب اليمن، أما بعد تقاربه مع عبد الناصر فقد كان من المتوقع أن يشكل ذلك خطرا عليهم، خاصة بعد أن أدى التقارب الناصري مع الإمامة أن بدأ الوطنيون في الجنوب يرون ميزة الاتحاد مع الإمامة إذا ما كان البديل هو الاستعمار البريطاني[٧٤] . ومن الواضح أن انضمام المملكة المتوكلية اليمنية إلى الجمهورية العربية المتحدة في رابطة اتحاد الدول العربية في مارس ١٩٥٨، قد أكدت تحسن صورة الإمامة في الشطر الشمالي من اليمن أمام العناصر الوطنية في عدن والنواحي التسع المتاخمة لها، مما أدى بتلك العناصر إلى تشديد عدائها ضد الوجود البريطاني، في الوقت الذي بدا فيه أن الانتصار الشامل للحركة القومية العربية بزعامة عبد الناصر، وإنهاء الاستعمار الغربي في العالم العربي كاد أن يصبح وشيكا[٧٥].

ويمكن القول أن عقد الخمسينيات شهد أكبر المساوئ التي لحقت بالمصالح البريطانية في الشطر الجنوبي من اليمن، حيث بلغ التأثير المصري على الوطنيين ذروته بفشل العدوان الثلاثي وانسحاب بريطانيا من قاعدة السويس، كما اكتسبت الحركة العربية بزعامة عبد الناصر قوة هائلة في العالم العربي بقيام الجمهورية العربية المتحدة ، التي كان لها تأثيرها في تصاعد الحركات الوطنية التحررية ضد الوجود البريطاني في عدن والجنوب اليمني برمته .

ولم تكن التطورات التي شهدها الشطر الشمالي من اليمن بقيام الثورة ضد نظام الإمامة في السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢ ، عقب بضع ساعات من الموافقة على مشروع اتحاد عدن والجنوب العربي ، تقتصر عند هذا الحد من حيث التأثير السلبي على قيام الاتحاد البريطاني ، بل ازداد الأمر سوءا حين قدمت القوات العسكرية المصرية لدعم الثورة اليمنية وتثبيت دعائم النظام الجمهوري الجديد ، بكل ما كان يعنيه ذلك من احتمالات ضارة بالنسبة لمستقبل بريطانيا في الشطر الجنوبي من اليمن بوجه عام وفي عدن بوجه خاص .

وقد يكون من المناسب أن نعرض في هذا السياق للموقف الذي اتخذته الحكومة البريطانية إزاء ثورة اليمن ، والذي كان موضع حوار وخلاف بين دوائر صنع قرار السياسة البريطانية . فبينما كانت وزارة الخارجية البريطانية ، وقطاعات داخل مجلس العموم البريطاني ، وخاصة من المعارضة العمالية التي كانت تجد مساندة لها من معظم دوائر الصحافة البريطانية ، ترى أن المصالح البريطانية يمكن أن تحقق أفضل ما يمكن أن تصل إليه في حالة الاعتراف بالنظام الجمهوري في الشطر الشمالي من اليمن ، إذ إن ذلك يزيل وصمة العار التي لحقت ببريطانيا من جراء مساندتها الداعمة للحكام الرجعيين ، ويفيد في تحسين سمعتها السيئة في العالم العربي منذ حرب السويس ، خاصة وأن عبد الناصر كان حريصا منذ بداية مساندة مصر لثورة اليمن على التأكيد لبريطانيا أن مصر ليست لها مطامع توسعية في الجزيرة العربية أو في بترول الخليج العربي ، وأن القوات المصرية المساندة للجمهورية اليمنية لن تحاول التعرض للمشروعات البريطانية في جنوب اليمن ، لأن مقاومة هذه المشروعات هي من مسئولية الجماهير الشعبية هناك(٧٦)، وفضلا عن ذلك فقد عملت مصر على تهدئة الدعاية التي كانت تقوم بها الجمهورية اليمنية بشأن مطالبها الإقليمية في الجنوب، كما أوضحت للحكومة البريطانية بأنها ترى أن اعترافها بالجمهورية اليمنية من شأنه التأكيد على حسن النوايا البريطانية ، خاصة وأن حكومة صنعاء وإن لم تعترف بالحدود القائمة بين شطري اليمن فإنها لسنوات تالية ستكون منشغلة بإعادة بناء الشطر الشمالي من اليمن عن أية قضايا أخرى(٧٧).

وعلى العكس من ذلك كانت هناك وجهة نظر مضادة تسود كل من وزارة المستعمرات وشئون الكومنولث والدفاع ، إضافة إلى قطاعات أخرى من البرلمان ، ومؤداها عدم الاعتراف بنظام صنعاء الجمهوري ، إذ إن هذا الاعتراف سيؤدي إلى توجيه ضربة لسلاطين الجنوب ومشروعات بريطانيا فيه، وأنه ينبغي على بريطانيا أن تغض النظر عن المساعدات التي تصل إلى الملكيين عبر الإقليم الاتحادي الذي تسيطر عليه في الجنوب اليمني، وقد وجدت وجهة

النظر هذه دعما لها بتحليل مؤداه أن عبد الناصر من المتوقع له أن يخسر في كل الأحوال ، فهو إذا انسحب من اليمن كان من شأن الجمهورية اليمنية أن تنهار وتنهار معها زعامته في العالم العربي، وإذا ما بقي هناك كان من المحتم عليه أن يخوض حربا مكلفة ومنهكة داخل اليمن تحد من نشاطه على الساحة العربية .

وكان السير دنكان ساندیز، وزير شئون الكومنولث والمستعمرات ، من أقوى المدافعين عن وجهة النظر هذه ، وحذر من عقد أية تسوية أو صفقة مع عبد الناصر ، أو مع الوطنيين في الجنوب الذين أخذوا يثيرون المتاعب ضد بريطانيا في عدن. كما كان ساندیز على استعداد للتصدي لأية آراء تظهر في دوائر الخارجية البريطانية أو في مجلس الوزراء أو البرلمان البريطاني ، تميل إلى التعامل أو مهادنة دعاة القومية العربية من ذوي الاتجاهات اليسارية[٧٨]. وكان موقف ساندیز يكتسب قوة من دحضه للآراء القائلة بعدم وجود مخططات لعبد الناصر أو لليمن الجمهوري بشأن الشطر الجنوبي من اليمن ، حيث وصف تلك الآراء بكونها هراء حتى وإن صدقت النوايا ، إذ تمثلت خطورة الثورة اليمنية وما صاحبها من وجود عسكري مصري في تهديد الوجود البريطاني في الشطر الجنوبي من اليمن، وقد وجد ساندیز تأييدا لوجهة نظره من العسكريين البريطانيين المقيمين في عدن ، الذي كان من رأيهم أنه إذا لم تتخذ الحكومة البريطانية موقفا ضد اليمن الجمهورية وضد القاهرة المساندة لها ، فإن كل ما قامت بريطانيا بتنفيذه في الشطر الجنوبي من اليمن حتى إنشاء اتحاد عدن والجنوب العربي سوف يتعرض للانهيار [٧٩].

ومن ثم أبدى العسكريون البريطانيون حماسهم البالغ لمساندة المقاومة الملكية ضد الجمهوريين[٨٠]، وكان يشجعهم على ذلك تصاعد حركة المقاومة ، والتي تأكدت لديهم من ضخامة التعزيزات العسكرية التي أخذت مصر ترسلها إلى اليمن ، فضلا عما أكدته التقارير الإستراتيجية أن المقاومة الملكية ليست أمرا عارضا ، وأن الوقت ليس في صالح مصر أو الجمهورية اليمنية[٨١].

ونتيجة لتغلب وجهة النظر هذه ، أخذت بريطانيا تقدم دعما للعناصر الملكية ، بما في ذلك تقديم الأسلحة والذخائر والمعونات الفنية ، وبذلك أصبح للملكيين قاعدة خارجية أخرى إضافة للقاعدة السعودية[٨٢]، وأسهم الدعم البريطاني والسعودي في إطالة بقاء المقاومة الملكية على الساحة اليمنية لمدى أطول في مواجهتها للجمهورية اليمنية[٨٣] . وإلى جانب الدعم البريطاني للقوات الملكية في الشطر الشمالي من اليمن ، ظلت الحكومة البريطانية ترفض الاعتراف بجمهورية اليمن مبررة رفضها بدعوى عدم تثبتها من سيطرتها على البلاد ، في الوقت الذي كانت تضع فيه العراقيل أمامها[٨٤]، وكان مما يدفع الحكومة البريطانية إلى ذلك إدراكها لما يترتب على تثبيت دعائم الجمهورية اليمنية من تأثير سلبي على مناطق نفوذها في الشطر الجنوبي من اليمن، خاصة بعد أن اتسع نطاق المساندة المصرية لها مما زاد من الأخطار التي أخذت تتعرض لها المصالح البريطانية في الجنوب. ولم تلبث الحكومة البريطانية أن تبينت أخيرا مدى الضعف الذي أخذ يتعرض له اتحاد الجنوب العربي أمام تيار الثورة اليمنية الذي أخذ يهدد كيانه، وذلك على الرغم من إمدادها له بكل طاقتها السياسية والعسكرية، وبات واضحا لها أن الأمم المتحدة لن تعترف بهذا الاتحاد كممثل لشعب الجنوب العربي، مما أفقدها الأمل في حماية وجودها ومصالحها الإستراتيجية في عدن تحت ستار اتحاد لن يحظى باعتراف دولي[٨٥].

الهوامش

(١) إدجار أوبلانس: الحرب في اليمن (دراسة في الثورة والحرب حتى عام ١٩٧٠) ترجمة ودراسة الدكتور عبد الخالق لاشين ، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر ، الدوحة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ١١ .

(٢) أمين سعيد :اليمن تاريخه السياسي منذ الاستقلال في القرن الثالث الهجري ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ،١٩٥٩ ، ص ٢٦٩-٢٧٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٨-٢٩٠ .

(٤) صلاح الدين المنجد (دكتور): اليمن والجمهورية العربية المتحدة بين الاتحاد والانفصال، بيروت ، ١٩٦٢ ، انظر نص الاتحاد ضمن الوثائق الملحقة بالكتاب .

(٥) صلاح العقاد (دكتور): جزيرة العرب فى العصر الحديث ، السعودية ، اليمن ، جمهورية اليمن الشعبية ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ، ١٣٨٨هـ /١٩٦٩م ، ص ٨٨-٨٩ .

(٦) عدنان ترسيسي (دكتور): اليمن وحضارة العرب ، مع دراسة جغرافية كاملة ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٢٩١ .

(٧) أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ ، من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين ، الطبعة الأولى ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ،١٩٦٣ ، ص ٣٥٩ .

(٨) Berreby , J.J.: La Peninsula Arabique , Paris , 1958 , p. 149.

(٩) محمد سعيد العطار: التخلف الاقتصادي في اليمن ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ١٢٤ .

(١٠) السيد مصطفى سالم (دكتور): تكوين اليمن الحديث والإمام يحي ١٩١١-١٩٤٨ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة، ١٩٦٣ ، ص ٤٨١ .

(١١) أحمد جابر عفيف: الحركة الوطنية في اليمن ، دراسة ووثائق ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٢م ، ص ٩٢ .

(١٢) أحمد جابر عفيف : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(١٣) المرجع السابق ، ص ٧٣-٧٤ .

(١٤) نفس المرجع ، ص ٧٤ .

(١٥) عبد العزيز المقالح (دكتور): ديوان الزبيري ، (المقدمة) ، ص ٩-١٢ .

(١٦) صلاح العقاد (دكتور): المرجع السابق ، ص ٩٥ .

(١٧) Ingrams, H.: The Yemen , Imams, Rulers and Revolution, London , Camelat Press1963, p.121.

(١٨) عبد الرحمن البيضاني (دكتور) : أزمة الأمة العربية وثورة اليمن ، المكتب المصري الحديث ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٣٢٩ .

(١٩) المرجع السابق ، ص ٢٦٦ . وعلى النقيض مما ذكره البيضاني عن دوره الإيجابي قبل قيام الثورة اليمنية فإن أحمد بن محمد الشامي - أحد أقطاب اليمنيين الملكيين والذي كان وزيرا للخارجية في حكومتهم بالمنفى في الفترة من ١٩٦٢إلى عام ١٩٦٩- قد حرص على إنكار الكثير مما أورده البيضاني عن دوره آنذاك بقوله إن البيضاني «ظل إلى أواخر عام ١٩٦١ من موظفي الإمام أحمد أولا في بون ، ولما كثرت فضائحه نقل إلى السودان ، ولما كثرت الشكاوى من اختلاساته طلبه الإمام إلى اليمن وعينه مكافحا للجراد في تهامة، وكان من أمره ما كان». كما وجه الشامي اتهامات للبيضاني بتزوير الوثائق التي أوردها لتوضيح دوره. ويعكس ما ذكره الشامي في رأينا مدى العداء بين البيضاني والملكيين اليمنيين ، والذي بلغ ذروته في مؤتمر عمران في اليوم الثاني من سبتمبر ١٩٦٣ ، انظر أحمد بن محمد الشامي :رياح التغيير في اليمن ، ص ٣٥ -٥٠ .

(٢٠) إدجار أو بلانس: المرجع السابق ، ص ١١٥ .

(٢١) إدجار أو بلانس ، المرجع السابق ، ص ١١٥، انظر ما أشار إليه الدكتور عبد الخالق لاشين في تعليقه على مقولة (أو بلانس).

(٢٢) المرجع السابق ، ص ١١٥-١١٦ .

(٢٣) نفس المرجع ، ص ١٥١. أشار «أوبلانس» أن النقد الموجه للثورة اليمنية وما صاحبها من مساندة مصرية قد أصبح يتركز في شخص عبد الرحمن البيضاني- نائب رئيس الجمهورية ونائب رئيس الوزراء - وقد رحل البيضاني فجأة إلى القاهرة في ٢٠ يناير ١٩٦٣ ولم يعد ثانية ، ولم يتم التصريح بشيء رسمي لبعض الوقت إلى أن كان يوم ١٨ فبراير من نفس السنة حين قام السلال «بإعادة تكوين حكومته وأسقط البيضاني منها رسميا وحرمه من كل مناصبه وألقابه». وقد اعترف عبد الرحمن البيضاني في ٢١ فبراير من نفس السنة بوجود خلافات في الرأي بينه وبين السلال ، ولكنه نفى الشائعات التي ترددت بأن الجمهورية العربية اليمنية طلبت أن يعاد إرساله إلى اليمن كي يواجه بتهمة الخيانة العظمى.

(٢٤) محمد سعيد العطار: مرجع سبق ذكره ، ص ٣١٩ .

(٢٥) صلاح العقاد: مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٠-١٠١ .

(٢٦) جريدة الشرق الأوسط الصادرة في لندن ، السنة الرابعة ، بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٨١ ، ص ٣ . وقد أوردت الجريدة عرضا لكتاب «ديفيد هيرست» عن السادات ، أشير في هذا العرض إلى أن عبد الرحمن البيضاني ولد في القاهرة من أم مصرية ، كما أشير إلى قرابته من السادات عن طريق زواجه من شقيقة زوجته جيهان ، مما سيمهد له سبيل الاتصال بالقيادة المصرية لمساندة الثورة اليمنية على النحو الذي سنناقشه في ثنايا البحث .

(٢٧) عبد الرحمن البيضاني: المرجع السابق ، ص ٢٧-٤٧ .
(٢٨) المرجع السابق : ص ٤٨-٤٩ .
(٢٩) نفسه ، ص ٥٠-٥٢ .
(٣٠) أمين سعيد: مرجع سبق ذكره ، ص ٢٦٨ .
(٣١) عبد الرحمن البيضاني: المرجع السابق ، ص ٥٩-٦١ .
(٣٢) إدجار أو بلانس: المرجع السابق ، حاشية ص ٨٢ .
(٣٣) عبد الرحمن البيضاني: المرجع السابق ، ص ٦٤-٧١ .
(٣٤) إدجار أو بلانس: المرجع السابق ، حاشية المترجم ، ص ١٩٢ . أشار الدكتور عبد الخالق لاشين إلى أن البدر كلف العقيد عبد الله السلال قائد حرسه الخاص بالإشراف على تكوين «فوج البدر» لتعزيز حرسه الخاص ، وقد ساء ذلك الأمير الحسن بن يحيى المنافس الوحيد للبدر في ولاية العهد ، وحين قام أنصار الحسن بإحداث بلبلة واضطرابات في صنعاء لجأ البدر على أثرها إلى استدعاء القبائل اليمنية لحمايته ، وكان أنصار الحسن قد اتخذوا من إجراءات البدر الإصلاحية وسيلة للنيل منه .
(٣٥) عبد الرحمن البيضاني: المرجع السابق ، ص ١٠٤-١١٧ .
(٣٦) صلاح العقاد: المرجع السابق ، ص ٨٦ .
(٣٧) عبد الرحمن البيضاني: المرجع السابق ، ص ١٦٦ .
(٣٨) المرجع السابق ، ص ١٧٣-١٧٤ .
(٣٩) نفسه ، ص ١٧٩-١٨٥ .
(٤٠) أحمد حسين شرف الدين: المرجع السابق ، ص ٣٦٠ .
(٤١) عدنان ترسيسى: المرجع السابق ، ص ٢٩٢ .
(٤٢) جريدة الأهرام في ٢٧ ديسمبر ١٩٦١ .
(٤٣) عبد الرحمن البيضاني: المرجع السابق ، ص ١٩٣-١٩٤ .
(٤٤) نفسه ، ص ٢١٣ .
(٤٥) نفسه ، ص ٢٠٧ .
(٤٦) نفسه ، ص ٢٠٦ .
(٤٧) نفسه ، ص ١٧٧ .
(٤٨) أحمد جابر عفيف: المرجع السابق ، ص ١١٨ .
(٤٩) أحمد الرحومي وآخرون: أسرار ووثائق الثورة اليمنية ، ص ٥٣ .
(٥٠) محمد أحمد نعمان: الأطراف المعتية في اليمن ، عدن ١٩٦٥ ،ص ٧٤ .
(٥١) عبد الرحمن البيضاني: المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .
(٥٢) Vernier ,B.: Armée et Politique au Moyen Orient ,Paris,1966, p.187.

(٥٣) صلاح العقاد: المرجع السابق ، ص ٩٨ .
(٥٤) عبد الرحمن البيضاني: المرجع السابق ، ص ٣٠٥ .
(٥٥) المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .
(٥٦) نفسه ، ص ٢٢٧- ٢٣٧ .
(٥٧) صلاح العقاد: المرجع السابق ، ص ١٠٠ .
(٥٨) عبد الرحمن البيضاني: المرجع السابق ، ص ٢١٢-٢١٣ .
(٥٩) سجل وثائقي بتشكيل الوزارات في الجمهورية العربية اليمنية على مدى عشرين عاما ، أصدره المكتب القانوني لرئاسة الجمهورية العربية اليمنية سنة ١٩٨٣ .
(٦٠) جريدة الجمهورية في ٢ أكتوبر ١٩٦٢ .
(٦١) عبد الرحمن البيضاني: المرجع السابق ، ص ٣٨٩ .
(٦٢) نفسه ، ص ٣٩٩ .
(٦٣) أحمد يوسف أحمد (دكتور): الدور المصري في اليمن ١٩٦٢-١٩٦٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ١١٣ .
(٦٤) صلاح العقاد: المرجع السابق ، ص ١٠٢ .
(٦٥) Sources of Conflict in The Middle East , Adelfy Papers , A Paper Prepared by the Staff of the Institute for Strategic Studies , London , No .11, March , 1966.
(٦٦) Colonial Reports ,Aden, 1947 , p.60 ,1949 and 1950 ,pp. 81-82
(٦٧) Haward ,M.: Britain's Strategic Problem East of Suez , in : International Affairs , Vol. 42. , No.2 , April,1966, p. 181.
(٦٨) Little,T.: South Arabia, Arena of Conflict ,London, 1968.p. 77.
(٦٩) Report of the Trade Development Committee on the State of Aden's Trade, Aden Government , Printer1962.
(٧٠) Halliday ,F.: Arabia Without Sultans, Penguin Books , London , 1975 , p. 183
(٧١) أحمد يوسف: المرجع السابق ، ص ١٦٠ .
(٧٢) Little , T., op.cit., pp.44-45.
(٧٣) Ingrams ,H.: op.cit., pp.87-88
(٧٤) Trevaskin , K.: Shades of Amber, A South Arabian Episode, Hutchinson, London, 1968, p. 68.
(٧٥) Little, T.: op.cit., p.55.
(٧٦) محمد حسنين هيكل: الأسد البريطاني وطبول الخطر ، جريدة الأهرام في ٢٨ ديسمبر ١٩٦٢ .

(٧٧) محمد حسنين هيكل: القيمة الحقيقية لما يجرى الآن في عدن ، جريدة الأهرام في ٨ أكتوبر ١٩٦٥ .

(٧٨) Little ,T.: op.cit., p. 96.

(٧٩) King , Gillian : Imperial Outpost Aden , Its Place in British Strategic Policy , Chatham House Essays, New York , 1964 , p. 499.

(٨٠) Schmidt, D.A. : The Unknown War , London, The Body Head , 1968, p. 162

(٨١) Trevaskis ,H.: op.cit., p.187.

(٨٢) Schmidt, D.A.: op.cit., pp. 68-69.

(٨٣) أحمد يوسف أحمد: المرجع السابق ، ص ١٧٠-١٧٣ .

(٨٤) Gavin , R.J.: Aden Under British Rule , 1839-1967, C.Hurst and Company , London , 1975, p.344.

(٨٥) U.N., Year book of Labor Statistics, Geneva, 1962.